

الروايات التاريخية للأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق في كتابات الذهبي عن الأندلس خلال القرن السابع وأوائل الثامن الهجريين

محمد بن إبراهيم أبا الخيل

قسم التاريخ - كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم - بريدة

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه البررة المتقين، وعلى
من تبعهم بإحسان وسار على دربهم إلى يوم الدين،
أما بعد:

فيحرص المؤرخون النابهون في مصنفاتهم التاريخية
على استيفاء شتى المصادر المتاحة للوصول إلى المعلومات
والأخبار، فيستفيدون من كتابات من سبقهم، ويضيفون
عليها الجديد مما وقع تحت نظرهم، ويسجلون ما
شاهدوه أو سمعوه، ويلتقون بشهود الأعيان، ويتوجهون
بالسؤال إلى العارفين بالأخبار .

ولقد كان الإمام الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م
في كتاباته التاريخية عن الأندلس خلال القرن السابع
الهجري وأوائل الثامن ممن اغتتم وجود عددٍ من
الأندلسيين والمغاربة في المشرق، فاستفاد منهم في
معرفة أخبار تلك الحقبة، فكانوا أصنافاً أربعة؛ صنف

شهد الأحداث، وصنف نقل نقلاً متواتراً ممن شهد
الأحداث، وصنف قريب صلة بمن صنعوا الأحداث،
وصنف ممن عني بجمع الأخبار . وقد كانت إحالاته
إليهم إما بألفاظ السماع المعروفة الدالة على أخذه
منهم مباشرة كـ «حدثني»، «قال لي»، «حكى لي»، وهذه
قالها عن الذين التقى بهم، وإما بلفظ الكتابة مثل
«كتب إلي»، وهذه عن الذين لم يقدر له اللقاء بهم .

وعلى الرغم من أن التاريخ المتعلق بالأندلس لا يشكل
إلا نسبة يسيرة في غمار كتابات الذهبي التاريخية
الشاملة للبلاد الإسلامية المترامية الأطراف؛ إلا أن ما
نقله من أخبار، أو شذرات من أخبار متفرقة عن حقبة
الدراسة من هؤلاء الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى
المشرق كان في شطر منه في غاية الأهمية لما جاء فيه
من روايات جديدة، أو تفاصيل جديدة لحوادث معروفة
لأنجدها - في كلتا الحالتين - في المصادر الأندلسية
والمغربية المتداولة .

إن هذه الأخبار التاريخية التي نقلها الذهبي مباشرة من هؤلاء الأندلسيين والمغاربة قد بثها في عدد من مصنفاته التاريخية، حيث عثرنا عليها في كتاب تاريخ الإسلام وذيله^(١)، وكتاب سير أعلام النبلاء وجزئه المفقود^(٢)، وكتاب ذيل العبر، وكتاب معرفة القراء الكبار^(٣).

لعلنا مما سلف تبين لنا شيء من أهمية الكتابة في هذا الموضوع، فهو بجانب ما فيه من جديد في المعلومات فإنه يبرز كوكبة من رجال العلم الأندلسيين والمغاربة الذين كان لهم دور في تواصل مغرب العالم الإسلامي مع مشرقه في زمنهم، ونقل أخبار بلادهم إلى إخوانهم المشارقة، كما أن فيه تأكيداً بالأمثلة المتعددة على منهج الذهبي في تقصيه لأخبار البلاد الإسلامية البعيدة عنه - من أهلها الذين هم أعرف الناس بأخبارها، كما أن في دراسته لفتاً للأنظار إلى ما تختزنه كتب التراجم من مادة تاريخية تتعلق بالجوانب السياسية التي ارتبطت دوماً بكتب التاريخ العام.

ولدراسة هذا الموضوع، وعرض ما يتصل به من مادة علمية، وتناوله وفق مقتضى عنوانه قسمناه إلى قسمين؛ الأول حددنا فيه الأندلسيين والمغاربة الذين قدموا إلى المشرق وأخذ منهم الذهبي تلك الأخبار، وقد عرفنا بهم واحداً بعد الآخر تعريفاً كافياً، وقد رتبناهم حسب سنة الوفاة، وأبرزنا لقاء الذهبي بكل واحد منهم، أو طريقة اتصاله بهم. و القسم الثاني عرضنا فيه المادة التاريخية التي استقاها الذهبي من هؤلاء، وقد وزعناها حسب موضوعاتها إلى خمس نقاط؛ الأولى: وضع الأندلس السياسي العام في أوائل القرن السابع، الثانية: شذرات في أخبار حكام ووزراء وقادة الأندلس، الثالثة: سقوط قرطبة، الرابعة: الملحمة العظمى في غرناطة بين المسلمين والنصارى، الخامسة: في أخبار علماء الأندلس.

لقد حاولنا بكل طاقتنا جرد جميع ما يتصل بموضوعنا من مادة علمية في كتب الذهبي المتاحة. وليس من شك أننا رجعنا إلى المصادر الأندلسية والمغربية وكذا المشرقية للكتابة عنه، وتجلية غوامضه، وتحليل مادته، والإحاطة به من كافة الأطراف والزوايا.

أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما كتبت، وهديت إلى ما قصدت، كما أسأله عز شأنه أن يسبل علينا ستر العافية، وأن يحسن لنا العاقبة، وأن يعفو عنا بمنه وكرمه وجوده إنه واسع العطاء، مجيب الدعاء.

الأندلسيون والمغاربة القادمون إلى المشرق الذين أخذ عنهم الذهبي الروايات التاريخية عن الأندلس:

دأب الأندلسيون منذ أوائل تاريخهم على الارتحال إلى المشرق^(٤) الإسلامي تحملهم دوافع متعددة كأداء فريضة الحج وطلب العلم وغير ذلك، ثم العودة مرة أخرى إلى بلادهم، وقد ظلت قوافل المرحلين إلى بلاد المشرق من الأندلس والعائدين إليها مستمرة عبر التاريخ الأندلسي، بيد أن ثمة ظاهرة أُمست تلفت الأنظار بعد تمزق الأندلس، وانتثار عقد وحدتها، وتساعد المد النصراني فيها بداية من القرن الخامس الهجري، وهي نزوح بعض الأندلسيين إلى الهجرة من بلادهم والتوجه إلى الإقامة في بلدان المشرق الإسلامي إقامة دائمة^(٥)، وقد كثرت هذه الظاهرة خلال القرن السابع الهجري وما بعده.

ولقد شكل عدد من هؤلاء الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق، سواء منهم الذين عادوا كرة أخرى إلى بلادهم أو إلى بلاد المغرب، أو الذين آثروا البقاء في المشرق - شكلوا منذ القرن السادس الهجري مصادر مهمة من مصادر المؤرخين المشارقة عند الكتابة عن بلاد الأندلس، وقد جاءت معلوماتهم التي أفادوا بها عن تاريخ

بلادهم في صورتين، الأولى ما كان بصورة مكتوبة، سواء في كتب مؤلفة أو رسائل خاصة، والثانية ما جاء على شكل روايات شفوية^(١).

لقد كان الإمام الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤ م) كغيره من المؤرخين المشاركة اتكأ في جانب من كتاباته التاريخية منذ القرن السادس الهجري عند الكتابة عن تاريخ المغرب والأندلس على مؤلفات هؤلاء الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق، كاليسع الفافقي (ت ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م)^(٢)، وعبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م)^(٣).

على أننا نشاهد في كتابات الذهبي التاريخية عن الأندلس خلال القرن السابع وأوائل الثامن الهجري ظاهرة جديدة، وهي عزوه في عديد من المواضع عند رصد الأحداث وترجمة الشخصيات إلى طائفة من الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق الذين لم يعرف لهم مؤلفات في تاريخ الأندلس، إذ قدر له أن يلتقي ببعضهم في موطنه مدينة دمشق التي غدت في أواخر القرن السابع الهجري ومطلع القرن الثامن مركزاً من مراكز الحياة العلمية^(٤)، يقصدها العلماء وطلبة العلم من شتى الأقطار، فيروي عنهم مباشرة، وهي كما يتضح التي نقلها بمثل قوله: «ذكر لي»، «ذكر لنا»، «قال لي»، «قال لنا»، «حدثني»، «أخبرني»، «حكاه لي»^(٥). كما قدر له أن يكاتب بعضهم الآخر الذين لم تسنح الفرصة للقاء بهم، فيزودوه - كتابة - بما طلبه منهم، وقد أتت بألفاظ مثل: «فكتب لي»، «فكتب إلينا». وبين هذا وذاك فقد يكون نقلها من المدونات الخاصة بهؤلاء الرواة سواء الذين التقى بهم أو الذين كاتبتهم، فجاءت بلفظ «قرأت بخط...».

وفيما يلي سوف نتعرف إلى هؤلاء الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق الذين التقى بهم الذهبي أو كاتبتهم،

وصرح بما يفيد أنه استقى منهم أخباراً تتصل بالأندلس في القرن السابع الهجري وأوائل الثامن.

الأول: أبو الوليد بن الحاج محمد بن أحمد التجيبي الإشبيلي الذي ولد سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م - فيما يبدو - في إشبيلية، ثم مات أبوه وجده كلاهما في عام ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م، فنشأ يتيماً في حجر أمه^(٦)، ويظهر أنه خرج من إشبيلية بعد سقوطها بأيدي النصارى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م^(٧)، وسكن شريش^(٨)، ثم انتقل إلى غرناطة التي صودرت أمواله فيها من قبل حكامها، ففادها إلى تونس، وبقي هناك خمس سنوات، ثم قدم دمشق، وصار إمام محراب المالكية بجامعة حتى وفاته سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م^(٩)، وقد سمع منه الذهبي في أثناء تلك المدة^(١٠)، وعده من شيوخه^(١١)، وترجم له أكثر من مرة. أما الأخبار المتعلقة بالأندلس التي صرح الذهبي أنه نقلها منه فقد وردت بمثل قوله «قرأت بخط أبي الوليد ابن الحاج»^(١٢)، وقوله «حكى لي أبو الوليد بن الحاج»^(١٣).

الثاني: المحدث ابن ربيع وهو أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن ربيع بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري المالقي الأندلسي. ولد سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م^(١٤)، وقدم إلى دمشق سنة ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م^(١٥)، فسمع الحديث من علمائها^(١٦)، ثم رحل في طلب العلم إلى مصر^(١٧)، وكذلك إلى مكة وغيرها^(١٨)، ثم عاد إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م، وقد ذكر الذهبي أنه علق عنه^(١٩)، وقد روى عنه في حوادث الأندلس بنحو قوله «فيما ذكر لنا المحدث ابن ربيع»^(٢٠)، وبنحو «قال لي أبو عبد الله بن ربيع المالقي»^(٢١).

الثالث: أبو القاسم ابن سهل محمد بن محمد بن سهل ابن محمد الأزدي الغرناطي. ولد سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م،

ونشأ وتعلم في بلده غرناطة^(٢٧)، وقد بلغ مكانة مرموقة فيها، فكان حكامها يجلبونه ويرجعون إلى رأيه، ويلقبونه بالوزير بالرغم من أنه لم يل الوزارة^(٢٨). قدم إلى المشرق حاجاً سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م، وبعدها رجع إلى بلده غرناطة^(٢٩)، ثم قدم كرة أخرى إلى المشرق سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م^(٣٠)، وحج في السنة التالية^(٣١)، ودخل دمشق سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م وقرأ على بعض علمائها، وكانت له عناية بالفقه والنحو والتاريخ^(٣٢)، وكان بصيراً بعلم الفلك. توفي بمصر في المحرم سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م^(٣٣). وقد روى عنه الذهبي بعض أخبار علماء الأندلس بمثل قوله «ذكر لي ابن سهل الوزير»^(٣٤)، وقوله «حدثنا أبو القاسم بن سهل»^(٣٥).

الرابع: أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان النفزي الغرناطي الأندلسي^(٣٦). ولد سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م في غرناطة، فنشأ فيها، ودرس على علمائها^(٣٧)، ثم هاجر منها عقب أمر حاكمها بتأديبه على أثر خلاف حاد حدث بينه وبين بعض شيوخه^(٣٨). ولقد سمع من علماء المغرب والحجاز ومصر^(٣٩)، وكان قد استقر في مصر سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م^(٤٠). وتقدم في العلم حتى صار إمام زمانه في النحو واللغة، كذلك برع في التفسير والحديث والفقه والتراجم وغيرها^(٤١). خلف مصنفات كثيرة، لعل من أشهرها كتاب البحر المحيط في التفسير^(٤٢). توفي بالقاهرة في صفر سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م^(٤٣). أما رواية الذهبي عنه في أخبار الأندلس فقد كانت بالمكاتب؛ فقد كاتبه يسأله عما يتعلق بالأندلسيين والمغاربة^(٤٤)، فأجاب أبو حيان عنها في رسالة عنون لها بـ «قَطْرُ الْحَبِي فِي جَوَابِ أَسْئَلَةِ الذَّهَبِيِّ»^(٤٥)، وأتت إحاالته عليه بقوله مثلاً: «قال أبو حيان»^(٤٦)، وقوله: «قال أبو حيان النحوي فيما كتب إلي»^(٤٧).

الخامس: الوادي آشي وهو أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن حسان القيسي الوادي آشي الأندلسي^(٤٨)، والوادي آشي نسبة إلى بلدة وادي آش^(٤٩) الواقعة إلى الشرق من مدينة غرناطة على مسافة تقدر بأربعين ميلاً^(٥٠)، إذ كان أصله منها^(٥١).

ولد الوادي آشي في جمادى الآخرة سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م بتونس^(٥٢) التي كان والده جابر قد استوطنها بعد هجرته من الأندلس^(٥٣)، وقد نشأ في هذه البلاد وأخذ عن علمائها^(٥٤)، ثم جال في البلاد الشرقية والمغربية^(٥٥)، حيث رحل إلى المشرق رحلتين: الأولى في حدود سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، والثانية في سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م^(٥٦)، كما قام بعد رحلته الأولى إلى المشرق بالرحلة إلى المغرب والأندلس^(٥٧)، فقدم غرناطة من بلاد الأندلس في مطلع سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م^(٥٨). ولقد لقي في رحلاته أئمة من العلماء والمحدثين^(٥٩)، وبلغ درجة سامقة في العلم، فكان «محدثاً مقرئاً مجوداً، له معرفة بالنحو واللغة والحديث ورجاله»^(٦٠). توفي في ربيع الأول سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م في تونس^(٦١).

أما عن لقاء الذهبي به فقد كان قدومه إلى دمشق موطن الذهبي سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م^(٦٢)، ويبدو أنه أقام بدمشق مدة طويلة؛ يوحى بذلك سماعه لكثيرين من شيوخها، وكذلك إجادته في وصفها^(٦٣)، ومن الواضح أن علاقة الذهبي توثقت بالوادي آشي حتى صار ينعت به «صاحبنا»^(٦٤)، وقد سمع من الذهبي، وكتب الذهبي من جانبه عنه^(٦٥)، ونقل منه في شأن الأندلس بمثل قوله: «قال لي الوادي آشي»^(٦٦)، وقوله «قال لي أبو عبد الله محمد بن جابر المقرئ»^(٦٧).

السادس: ابن المرابط وهو أبو عمرو محمد بن أبي عمرو عثمان بن يحيى بن أحمد المرادي الغرناطي^(٦٨). ولد في رجب سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، ويظهر أن ذلك في

توفي هذا الحاكم لحق أبو إسحاق النميري بالأنديلس، فاستعمله حكام غرناطة في السفارة إلى الملوك، وولي القضاء في الأحكام الشرعية بالقرب من غرناطة، وقد أسمى «صدراً من صدور القطر وأعيانه، يحضر مجلس السلطان»^(٨٦). توفي أبو إسحاق بعد سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م^(٨٧)، وقد خلف مصنفات كثيرة في الحديث والأدب والأحكام والرحلة^(٨٨)، ومن مصنفاته التي وصلت إلينا كتاب «فيض العباب وإجالة قراح الآداب في الحركة إلى قسنطينة والزاب»^(٨٩). وثمة رسائل أدبية ومقطوعات شعرية من إنشائه أدرجها بعض من ترجم له^(٩٠).

أما لقاءه بالذهبي فقد التقى به في دمشق، وقد عدّه الذهبي^(٩١) من تلامذته الذين أخذوا عنه، كما أن النميري من طرفه نوه باستفادته من الذهبي، وأنشأ في ذلك شعراً فقال:

رحلتُ نحو دمشق الشام مبتغياً

رواية عن ذوي الأحلام والأدب

ففرزت في كتب الآثار حين غدت

تُروى بسلسلة عظمى من الذهب [ي]^(٩٢)

ولقد عول عليه الذهبي في بعض أخبار الأنديلس، ونقل عنه بمثل قوله: «ذكر لي أبو إسحاق النميري»^(٩٣).

الثامن: أبو القاسم بن عمران السبتي وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي السبتي^(٩٤). كان مولده في بضع وسبعين وستمائة^(٩٥)، ويظهر أن ذلك في مدينة سبته التي نسب إليها. درس على علماء بلده^(٩٦)، كما أخذ من ابن الزبير^(٩٧) كبير علماء غرناطة في زمنه، وقد رحل إلى المشرق وحج وسمع من علماء مصر والشام^(٩٨)، كما توجه إلى اليمن وأقرأ بها القراءات. دخل دمشق موطن الذهبي سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م^(٩٩)، ثم

غرناطة، إذ درس على أبي جعفر بن الزبير^(٩٩) (ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) عالم غرناطة المشهور في وقته^(١٠٠)، ثم رحل إلى المشرق، وقدم مصر وسمع من بعض علمائها، وكذلك دخل القدس وأخذ من بعض علمائها^(١٠١)، ثم نزل دمشق واستوطنها، وقد استفاد منه جمع كثير من علمائها وطلبة العلم فيها^(١٠٢). توفي في صفر أربيع الأول سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م^(١٠٣)، وقد لقيه الذهبي، ونقل عنه طائفة من أخبار الأنديلس بمثل قوله: «قال لي أبو عمرو ابن المرباط»^(١٠٤)، ونحو «أملى هذا ابن المرباط»^(١٠٥).

السابع: أبو إسحاق النميري وهو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري الغرناطي^(١٠٦)، ويعرف بابن الحاج^(١٠٧). ولد سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م في غرناطة^(١٠٨)، اشتغل بالعلم وبالحديث والشعر^(١٠٩)، وبلغ الغاية في إجادته الخط^(١١٠)، فكان بارع الخط، فائق النظم^(١١١)، وقد عين في ديوان الإنشاء سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م^(١١٢) في مملكة غرناطة، وقد كان والده من قبل من رجال بلاطها^(١١٣).

رحل إلى المشرق في المحرم سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م وحج بيت الله الحرام، ومر بعدد من مدن المشرق، فدخل دمشق وسمع من علمائها^(١١٤)، وزار الموصل والإسكندرية وأخذ من العلماء فيهما^(١١٥). ثم يمّم وجهه شطر بلاده، فدخل إفريقية وخدم بعض حكامها، ثم انتقل إلى بجاية في الجزائر وكتب في بلاطها، وبعدها التحق بخدمة سلطان المغرب أبي الحسن المريني (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م - ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، إلا أنه لم يلبث أن عاد مرة أخرى إلى المشرق للحج، ثم قفل إلى المغرب، وانقطع إلى العبادة في تلمسان. وبينما كان على هذه الحال استدعاه السلطان المريني أبو عنان فارس (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م - ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، وألزمه الكتابة في بلاطه، وحين

عاد إلى بلده المغرب، حيث سافر عن طريق مصر سنة ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م إلى بلاد التكرور^(١٠٠)، ومنها إلى بلده سبتة في المغرب^(١٠١). ولم تحدد المصادر سنة وفاته^(١٠٢). وقد وصفه الذهبي بالفقيه المقرئ المجود النحوي، وعده من علماء المغرب^(١٠٣)، والتقى به فيما يظهر في دمشق. وقد صرح بأنه استفاد منه في مجال التاريخ، فقال «علقت عنه أشياء من التواريخ»^(١٠٤)، ونقل منه بنحو «سمعت أبا القاسم بن عمران يقول»^(١٠٥)، ونحو «ما حدثني به ابن عمران السبتي»^(١٠٦)، ونحو «وقال لي أبو القاسم بن عمران فيما كتبه بخطه»^(١٠٧).

هؤلاء هم الأندلسيون والمغاربة القادمون إلى المشرق الذين أخذ عنهم الذهبي أخباراً تتعلق بالأندلس إبان القرن السابع الهجري وأوائل الثامن، وقد كان ستة منهم قدموا من بلاد الأندلس، وهم ابن الحاج وابن ربيع^(١٠٨) وابن سهل وأبو حيان وابن المرابط والنميري، واثنان قدما من المغرب؛ واحد من تونس، وهو الوادي آشي الذي كان أصله من الأندلس، والآخر من سبتة من المغرب الأقصى، وهو ابن عمران السبتي، وقد رأينا أن الذهبي التقى بهم جميعاً سوى أبي حيان الذي لم يتمكن من لقائه فكاثبه. وقد استقر أربعة منهم في المشرق ولم يعودوا إلى بلادهم وهم ابن الحاج وابن ربيع وأبو حيان وابن المرابط، وثلاثة عادوا إلى بلادهم وهم الوادي آشي والنميري والسبتي، وواحد مات في الطريق عائداً إلى بلاده وهو ابن سهل.

أخبار الأندلس لدى الذهبي في روايات الأندلسيين والمغاربة :

تناول الذهبي في مصنفاته التاريخية التي شكلت أكثر بكثير من نصف إنتاجه العلمي سواء في باب الحوادث أو التراجم^(١٠٩) - تناول تاريخ الإسلام منذ

بداية عصر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى النصف الأول من القرن الثامن الهجري الذي كتب فيه الذهبي نفسه تلك المصنفات، فأرخ للإسلام وأحواله ورجاله في حقبة تمتد إلى أزيد من سبعة قرون متوالية، وقد سعى أن يكون في كتاباته عن هذا التاريخ مستوعباً - إلى حد ما - كافة أرجاء البلاد الإسلامية من أقصى المشرق شرقاً إلى الأندلس غرباً، وقد تحدت كمية المعلومات التي قدمها الذهبي عموماً عن بلد من تلك البلاد بمدي تعلقها بمراكز القوى الفاعلة في العالم الإسلامي من جانب، ويتوافر المصادر عنده وعدم توافرها من جانب آخر^(١١٠). بيد أن سعة ذلك التاريخ بشكل عام وضخامته جعله يركز على ما كان يراه مهماً من تأريخ الشخصيات والأحداث^(١١١)، وقد يذكر المصادر التي استفاد منها معلوماته عن تلك الشخصيات والأحداث، وقد لا يذكرها على الطريقة المتبعة لدى كثير من العلماء المسلمين. وكتابة الذهبي عن تاريخ الأندلس لم تخرج عن هذا المنهج الذي استخدمه في تسجيله لتاريخ الإسلام عموماً. وإذا نظرنا في كتاباته عن الحقبة التي حددنا دراستها بالقرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري نخاله يؤرخ كذلك للمهم من أحداث الأندلس ورجالها، وقد صرح في حدود خمسين موضعاً من كتبه التاريخية بما يفيد نقله المباشر لمعلومات متفرقة عن تاريخ هذه الحقبة من الرواة الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق الذين عرفنا بهم آنفاً، وبرصد هذه المعلومات التي تلقاها الذهبي من أولئك الرواة عن أحداث تلك الحقبة وشخصياتها يمكننا بلورتها تحت الموضوعات التالية:

- وضع الأندلس السياسي العام في أوائل القرن السابع .
- شذرات في أخبار حكام ووزراء وقادة الأندلس .

ابن هود ضدهم في شرق الأندلس سنة ٦٣٥ هـ/١٢٣٨ م، فانطلق من ذلك الإقليم، فأيده الأندلسيون، وتعاونوا معه في حركته، وسارعوا في التخلص من حكم الموحدين في كافة مناحي البلاد .

٢ - شذرات في أخبار حكام ووزراء وقادة الأندلس: تضمنت مجموعة من الروايات التي أسندها الذهبي مباشرة إلى الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق- تضمنت نكتاً أو لقطات من الأخبار الخاصة بعدد من رجال الحكم والسياسة والحرب في الأندلس خلال القرن السابع وأوائل الثامن الهجري، ففي رواية أبي الوليد بن الحاج التي عرضنا شيئاً منها آنفاً ساق فيها ما يكشف جوانب من أعمال محمد بن يوسف بن هود بصفته أحد زعماء الأندلس الذي آلت إليه السلطة في الأندلس قبيل قيام مملكة غرناطة، فقال بعد ذكره لانتصاره على الموحدين والتفاف أهل الأندلس حوله، وتأيدهم له - قال: «أنشأ غزوة للفرنج على مدينة ماردة بغرب الأندلس»^(١١٥)، واستدعى الناس من الأقطار، فانتدب الخلق له بجد واجتهاد وخلص نية؛ المرتزقة والمطوعة، واجتمع عليه أهل الأندلس كلهم، ولم يبق إلا من حبسه العذر، فدخل بهم إلى الإفرنج، فلما تراءى الجمعان وقعت الهزيمة على المسلمين أقبح هزيمة، فإننا لله وإننا إليه راجعون، وكانت تلك الأرض مَدْيَسَةً بماء وعَزَقٌ تسمرت فيها الخيل إلى آباطها^(١١٦)، وهلك الخلق، وأتبعهم الفرنج بالقتل والأسر، ولم يبق إلا القليل، ورجع ابن هود في أسوأ حال إلى إشبيلية، فنعوذ به من سوء المنقلب، فلم تبق بقعة من الأندلس إلا وفيها البكاء والصياح العظيم والحزن الطويل، فكانت إحدى هلكات الأندلس، فمقت الناس ابن هود، وصاروا يسمونه

- سقوط قرطبة .

- الملحمة العظمى في غرناطة بين المسلمين والنصارى .

- في أخبار علماء الأندلس .

١ - وضع الأندلس السياسي العام في أوائل القرن

السابع:

قدمت إحدى الروايات التاريخية التي استقاها الذهبي من أبي الوليد بن الحاج، ونقلها من خطه - تصويراً عاماً لأوضاع الأندلس السياسية، حيث وصف أبو الوليد بن الحاج التطورات السياسية التي طرأت على الأندلس في أواخر الربع الأول من القرن السابع الهجري، فذكر كيف انتقلت السلطة فيها من الموحدين المغاربة^(١١٢) إلى أحد الزعماء الأندلسيين مبيناً السبب الذي جعل الأندلسيين يضيقون ذرعاً بالحكام الموحدين في الأندلس، فيتربصون الدوائر بهم، ويلتفون حول ذلك الزعيم، حيث قال: «لما قضى الله تعالى بهلاك الموحدين بالأندلس، وذلك أنهم ابتلوا بالصلاح في الظاهر، والأعمال الفاسدة في الباطن، فأبغضهم الناس بغضاً شديداً، وتربصوا بهم الدوائر، إلى أن نجم ابن هود^(١١٣) في سنة خمس وعشرين وست مئة بشرق الأندلس فقام الناس كلهم بدعوته، وتعصبوا معه، وقاتلوا الموحدين في البلدان، وحصروهم في القلاع، وقهروهم وقتلوا فيهم، ونَصَرَ [يقصد ابن هود] على الموحدين، وخلصت الأندلس كلها له، وفرح الناس به فرحاً عظيماً^(١١٤)....» فأبو الوليد بن الحاج يكشف في روايته أن فساد أعمال الحكام الموحدين المتأخرين في الباطن بالرغم من أنهم يبدون في الظاهر الصلاح هي التي جعلت الأندلسيين يبغيضونهم بغضاً شديداً، ومن ثم يترقبون الفرص لنبد طاعتهم، والتخلص من حكمهم، وقد أتت الفرصة بدعوة

«المحروم»، ولم يقدر أن يفعل مع الفرنج كبير فعل قط إلا مرة أخذ لهم غنماً^(١١٧) كثيرة جداً. ثم قام عليه شعيب بن هلاله بلبلة^(١١٨)، فصالح ابن هود الأدفوش [ابن الأذفونش]^(١١٩) على محاصرة لبلة ومعاونته على أن يعطيه قرطبة، واتفقا على ذلك...»، وقد ذكر أن الخطة نفذت، وسقطت قرطبة بأيدي النصارى وفقاً لهذا الاتفاق، وسنرجئ ما فصله عن سقوط قرطبة في الموضوع الذي خصصناه لها فيما بعد.

في هذا المقطع من رواية أبي الوليد بن الحاج معلومات وتفاصيل مهمة لانراها في المصادر الأخرى، منها تفصيله لإحدى الغزوات التي قام بها هذا الزعيم الأندلسي، حيث نادى بجهاد النصارى، فاحتشد الناس من أرجاء الأندلس إلى درجة أنه لم يتخلف عن الخروج معه إلا من حبسه العذر، ثم نهذ بهم لجهاد النصارى، وقصد مدينة ماردة في غرب الأندلس، فجرت معركة كبيرة بين الطرفين انتهت بهزيمة المسلمين، وجاء في توضيح السبب المباشر للهزيمة كون خيل المسلمين وقعت في أرض رخوة مشبعة بالماء؛ الأمر الذي جعل قوائم الخيل تسيخ فيها حتى آباطها. وقد عد أبو الوليد هذه الهزيمة إحدى هلكات الأندلس في تاريخها، إذ لم تبقى بقعة من البلاد الأندلسية إلا لحقها نصيب من القتل في هذه المعركة^(١٢٠). كذلك مما ورد في هذا المقطع تلقيب ابن هود من جانب الأندلسيين بعد هزيمته تلك بلقب المحروم. أيضاً مما جلته هذه الرواية مما لم تتطرق إليه المصادر الأخرى حقيقة اتفاقه مع النصارى في شأن قرطبة، وأن طمعه في الاستيلاء على مدينة لبلة التي يحكمها شعيب بن هلاله هو الذي دفعه إلى التخلي عن قرطبة للنصارى، حيث صالحهم وطلب منهم مساعدته في حربه ضد حاكمها شعيب بن هلاله

مقابل أن يسلم لهم قرطبة.

ولقد أورد الذهبي مقتطفات من الأخبار المتعلقة ببني الأحمر^(١٢١) حكام مملكة غرناطة مستنداً على أقوال أبي عمرو بن المرابط، أحدها يتصل بالحاكم الثاني لمملكة غرناطة: محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (٦٧١هـ/١٢٧٢م - ٧٠١هـ/١٣٠١م)^(١٢٢)، فبعد أن ذكر الذهبي^(١٢٣) عبور هذا الحاكم الغرناطي إلى المغرب لطلب نجدة أبي يعقوب يوسف المريني (٦٨٥هـ/١٢٨٦م - ٧٠٦هـ/١٣٠٦م)^(١٢٤)، وأن ذلك في سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م عقب بعبارة «ثم قال لي ابن المرابط: بل إنما اجتمع بأبي يعقوب سنة إحدى وتسعين [وستمئة] بعد أخذ الفرنج طريف^(١٢٥)»، فأعرض عنه أبو يعقوب، وذلك أن ابن الأحمر كان قد استعان بالفرنج على أخذ مدينة طريف من نواب المريني، فمكرت به الفرنج وتملكوا، وعيب عليه ذلك مع علمه وقوته، فإنه كان يعرف بالفقيه ابن الأحمر، قال ابن المرابط: كان أبي كاتب سره.

قال: وفي سنة أربع وتسعين [وستمئة] خرج إلى قيجاطة^(١٢٦)، فأخذها من الفرنج عنوة في ثلاثة أيام، علق سورها، فاندك وسقطت شرافة على جواد ابن الأحمر، فهلك الفرس ونجا ابن الأحمر. وفي سنة سبع [وتسعين وستمئة] أخذ ربض جيان^(١٢٧) عنوة، وفي سنة تسع وتسعين [وستمئة] افتتح القبذاق^(١٢٨) عنوة.

فابن المرابط في روايته للذهبي يستدرك بأن عبور ابن الأحمر للقاء أبي يعقوب المريني كان في سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م^(١٢٩)، وأن ذلك حدث عقب احتلال النصارى مدينة طريف، وقد أكد أن السلطان المريني أعرض عنه بسبب تحالفه مع النصارى طمعاً في استرجاع مدينة طريف إلى مملكته، إذ كانت تحت حكم

أن مات كما قال لي ابن المرباط في ثامن شعبان سنة إحدى وسبعمائة [٧٠١هـ/١٣٠٢م].»

كذلك مما ذكره الذهبي نقلاً عن ابن المرباط رواية تتعلق بالفصل الأخير من الخلاف بين الحاكم الثالث والرابع في مملكة غرناطة، وهما ولدا الحاكم السابق محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ الأول محمد (الثالث) (٧٠١هـ/١٣٠١م - ٧٠٨هـ/١٣٠٨م) ^(١٣٣)، والثاني أخوه نصر (أبو الجيوش) (٧٠٨هـ/١٣٠٨م - ٧١٣هـ/١٣١٣م) ^(١٣٤)، ففي ترجمة الذهبي ^(١٣٥) للأول ذكر كيف تولى السلطة في غرناطة، ثم عرج على ثورة أخيه نصر عليه، وانتزاعه للملك منه، واستبداده بالحكم بعد إبعاده له عن غرناطة، ثم ساق رواية ابن المرباط بقوله «قال لي أبو عمرو بن المرباط: مرض أبو الجيوش نصر، فأغمي عليه ثلاثة أيام، فأحضر الكبراء أخاه [يعني محمداً] ليملكوه، فلما عوفي نصر تعجب من مجيئه وأخبر، ففرقه خوفاً من شهامته، ولم أظفر بوقت تفريق المخلوع، لكنه خلع سنة تسع وسبعمائة»، وفي موضع آخر نقل الذهبي ^(١٣٦) ما قاله ابن المرباط بنصه لكن ورد بعض الاختلاف فقال «ففرقه بعد يوم كما كان المخلوع فعل بأخيه ... لكنه خلع سنة سبع وسبعمائة».

ففي هذه الرواية يحدثنا ابن المرباط عن حادثة تخلص أبي الجيوش نصر من أخيه محمد الذي سبق أن خلعه من الحكم، ونفاه بعيداً عن العاصمة غرناطة، ومما تتميز به هذه الرواية تحديد مدة مرض أبي الجيوش وإغمائه بثلاثة أيام، والجزم بأن أبا الجيوش قام بالتخلص من أخيه بإغراقه في الماء، وفي المقطع الثاني يكشف لنا ابن المرباط أن هذا الأسلوب الذي استخدمه أبو الجيوش في اغتيال أخيه المخلوع محمد هو الأسلوب ذاته الذي

المرينيين، ولكن النصارى مكروا بابن الأحمر، وتذكروا له، فاحتلوا تلك المدينة، وجعلوها تحت حكمهم بدلاً من أن يسلموها له. ويلاحظ أن ابن المرباط يشير إلى ما عابه الناس على ابن الأحمر إزاء هذا التحالف مع النصارى ضد إخوانه المسلمين مع كونه يملك العلم والقوة، ويلقب بالفقيه. وقد حرص ابن المرباط أن ينبه على معرفته الخاصة بشؤون هذا الحاكم الغرناطي، إذ كان أبوه، وهو أبو عمرو عثمان بن المرباط - كاتب سره ^(١٣٧).

لم يكتف ابن المرباط في روايته للذهبي بهذا، بل راح يذكر ما استرده هذا الحاكم الغرناطي من أراض إسلامية كانت تحت الاحتلال النصراني، فأشار إلى فتحه ثلاثاً من المواضع بقوة السلاح، حيث حاصر قيجاطة سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م لمدة ثلاثة أيام، ثم دخلها بعد عملية هدم لسورها، وقد نجا من الموت بعد سقوط شرفة من سورها على فرسه، كما استولى على ربض مدينة جيان سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٨م، وعلى القبذاق سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م. ولقد نقل الذهبي ^(١٣٨) في مكان آخر أن ابن الأحمر هذا «كان فارساً شجاعاً، أبيض طويلاً، فيه عدل وصون، يروي الفقه، وقد بلغ عدد جيشه خمسة عشر ألف فارس، وكان وقوراً صموتاً حازماً سائساً، كبير القدر، محتسباً للدماء. أُملى هذا ابن المرباط، وقال: كان أبي كاتب سره».

ففي هذا النص الذي أملاه ابن المرباط على الذهبي تعريف بصفات ابن الأحمر الشخصية، وإشارة إلى قوته العسكرية التي بلغت خمسة عشر ألف فارس، ويلاحظ أنه ختم النص أيضاً بأن والده كان كاتب سر ذلك الحاكم ليؤكد أن ما قاله أتى عن معرفة خاصة.

وعن سن هذا الحاكم ووفاته استفاد الذهبي ^(١٣٩) أيضاً من ابن المرباط، حيث قال «وعاش نحو ثمانين إلى

استخدمه المخلوع محمد مع أخيه الذي لم يسمه . ويظهر أن المقصود هو أخوهما فرج الذي تؤكد بعض المصادر اغتياله في أوائل حكم محمد المخلوع سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٣م، إذ عرف فرج بالشجاعة، والتطلع إلى الحكم^(١٣٧)، وكان فرج الأخ الشقيق لأبي الجيوش، وهما من جارية رومية الأصل، بينما محمد ولد من أم عربية^(١٣٨).

على أنه مما يؤخذ على ابن المرباط في روايته تترده في تحديد سنة خلع أبي الجيوش لأخيه محمد بين سنتي ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م و ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م. والصحيح أن ذلك كان في سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م^(١٣٩). كما أنه لم يستطع تحديد سنة تغريق أبي الجيوش لأخيه المخلوع، ويفهم من بعض المصادر أن تغريقه ومن ثم وفاته حدثت في العام الذي مرض فيه أبي الجيوش، وأتي به للولاية عنه، وهي سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م^(١٤٠)، بينما حُددت وفاته بسنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م^(١٤١)، وهي التاريخ المحدد الذي كتب على ضريحه^(١٤٢).

هذا فيما يتصل بالحكام؛ أما بالنسبة للوزراء فإن الذهبي^(١٤٣) في معرض ترجمته للوزير إلى المحروق أو ابن المحروق أبي عبد الله محمد بن أحمد الغرناطي نقل كلاماً موسعاً عنه من أبي إسحاق النميري فقال: «ذكر لي أبو إسحاق النميري الكاتب: أن هذا [يعني الوزير المحروق] كان شاهداً^(١٤٤)، ثم ترقى إلى أن صار منشئاً، ثم صار وكيل أبي الجيوش بن الأحمر^(١٤٥)، ثم لولده [كذا] السلطان أبي الوليد^(١٤٦)، فلما مات الوزير أبو الحسن بن مسعود من الجراحات التي نالته يوم مصرع أبي الوليد بن الأحمر^(١٤٧) ولي الوزارة هذا وتمكن من الأمور في دولة محمد بن [أبي] الوليد^(١٤٨)، وأخذ في إبعاد كبار القواد عن الحصون، بحيث عمد إلى قائد الجيش

عثمان بن أبي العلاء^(١٤٩)، فعمل عليه حتى أخرجه من غرناطة، فسار ابن أبي العلاء في جنده، فنزل بظاهر المرية^(١٥٠)، وغلب على أندرش^(١٥١) برغبة من أهلها فيه، وكثر عسكره، ثم لطفه المحروق فتحول إلى ربض وادي آش. وسكنت النائرة^(١٥٢)، واشتغل المحروق بأعباء الأمور عملاً على الملك. وهو الذي أعطى رُندة^(١٥٣) والجزيرة الخضراء ومرينة^(١٥٤) [كذا] لصاحب المغرب أبي سعيد^(١٥٥)، فضاق منه السلطان محمد.

فلما كان في أول سنة تسع وعشرين وسبعمائة تتمر^(١٥٦) منه محمد، وهياً له اثنين من الشجعان، وهما غالب ومقاتل، فلما جاء الوزير في أعوانه قال لأعوانه: ميلوا حتى تخرج والدة السلطان، فخرجوا فأغلقا الباب دونهم، ثم شدا عليه فقتلاه، ورد ابن أبي العلاء إلى غرناطة وتمكن وقهر ضده الأمير يحيى بن راحوا^(١٥٧)، فسار يحيى إلى وادي آش، ثم مات ابن أبي العلاء بعد سنة ثلاثين [وسبعمائة] بقليل، وله نيف وثمانون سنة.

تشكل هذه المعلومات التي أدلى بها أبو إسحاق النميري للذهبي عن هذا الوزير الغرناطي أهمية كبيرة من حيث إن النميري نفسه كان - كما سبق - أحد كتاب الإنشاء في مملكة غرناطة سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م، فضلاً عن أن والده كان من رجال تلك المملكة النابهي، ولذا فهو من القريبين من الحدث زماناً ومكاناً، فيتوقع - بناء على ذلك - معرفته بتفاصيل ما حصل لهذا الوزير على سبيل الدقة، فيلاحظ أنه أوضح تاريخه الوظيفي حتى بلغ ما بلغ في الدولة النصرية، فذكر أنه ابتداءً شاهداً في ديوان الإنشاء، ثم ترقى فصار كاتباً منشئاً، ثم أصبح وكيلاً للسلطان أبي الجيوش نصر بن محمد، ثم أضحى وكيلاً للسلطان أبي الوليد إسماعيل الذي انتزع السلطة

إن التنويه بهذا القائد الأندلسي المجاهد، أو الإشارة إلى شيء من أخباره من قبل أبي الوليد ابن الحاج يقدم لنا معلومات ثمينة عن شخصية أندلسية لم يرد لها ذكر في المصادر الأندلسية والمغربية التي تحت أيدينا، وقد ذكره أبو الوليد بن الحاج ذَكَرَ العارف به، المكبر لجهاده في سبيل الله، الواقف على أعماله، المتحقق من سنة وفاته .

٣ - سقوط قرطبة:

كان سقوط مدينة قرطبة بأيدي النصاري من الحوادث المؤسسية التي ارتجت لها بلاد الأندلس، فكان احتلالهم لها - على حد تعبير ابن عذاري^(١٦٣) - «أجل مصاب وأعظمه ... إذ هي أم المدائن، وقرّة عين الوارد والقاطن»، ولقد نقل الذهبي^(١٦٤) من أبي الوليد بن الحاج في معرض ترجمته لابن هود الذي سبق أن تطرقنا له - كيفية سقوطها؛ فبعد ذكره للاتفاقية بين ابن هود والأدفونش^(١٦٥) [وهو فرناندو بن الفونسو] التي اقتضت مساعدة هذا الأخير لابن هود على احتلال لبلة مقابل تخلي ابن هود عن قرطبة، ساق ما نصه «قال [يعني ابن هود] له: لا يسوغ أن يدخلها الفرنج على البديهة، وإنما تهمل أمرها، وتخليها من حرس^(١٦٥)، ووجه أنت الفرنج يتعلقون بأسوارها بالليل، ويغدرون بها، ففعلوا كذلك . ووجه ابن هود إلى واليه بقرطبة فأعلمه بذلك، وأمره بضياعها من حيز الشرقية، فجاء الفرنج، فوجدوه خالياً، ففعلوا السلام واستووا على السور، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وكانت قرطبة مدينتين: إحداهما الشرقية، والأخرى المدينة العظمى، فقامت الصيحة والناس في صلاة الفجر، فركب الجند وقالوا للوالي: اخرج بنا للملتقى،

من ابن عمه الحاكم السابق، وبعد موت وزير الدولة أبي الحسن بن مسعود على إثر الجراح التي أصابته ساعة مقتل السلطان أبي الوليد حل محله في منصب الوزارة في دولة ابنه السلطان محمد الذي آلت إليه السلطة بعد مقتل أبيه سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م وعمره عشر سنوات^(١٥٨)، فاستبد هذا الوزير بالأمور، وأخذ بإبعاد القادة عن العاصمة غرناطة، فأبعد قائد مشيخة الغزاة المغربي عثمان بن أبي العلاء عنها^(١٥٩)، فأحدث ذلك انشقاقاً بين المسلمين في غرناطة . كما أنه تصرف تصرفاً آخر وهو تخليه عن ثلاث من المدن الأندلسية التابعة لمملكة غرناطة وهي رندة والجزيرة الخضراء ومربلة، وتسليمها للسلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب . كل ذلك أحفظ عليه سلطان غرناطة الصغير ومن يحكم معه من أسرته، فدبر حيلة للتخلص منه حين قدم للقصر، حيث حال بينه وبين مرافقيه من حرسه وأعوانه، وأغلق الباب بينهم وبينه، وانفرد به رجلان يبدو أنهما من مماليك السلطان، وهما غالب ومقاتل، فشدا عليه وقتلاه، وذلك في أول سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م^(١٦٠).

أما بالنسبة للقادة العسكريين في الأندلس فقد صرح الذهبي باستفادته من مذكرة أو أوراق أبي الوليد بن الحاج - وهو الذي استقر في دمشق وتوفي فيها كما مر - وذلك في ترجمته لمن نعت به «الأمير القائد المجاهد»، وهو محمد بن مفرج بن وليد، أبو الشوائل السيارى الغرناطي، فحينما ترجم له، ووصل إلى تحديد وفاته بالمحرم سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م قال «قرأت هذا بخط أبي الوليد بن الحاج يقول فيه: توفى سيدنا وربنا الشيخ القائد المجاهد في سبيل الله الذي أبلى بلاءً حسناً مدى عمره في ذات الله - أبو عبد الله، الشهير بأبي الشوائل»^(١٦١).

فقال: اصبروا حتى يضحي النهار، فلما أضحي ركب وخرج معهم، فلما أشرف على الفرنج قال: ارجعوا حتى ألبس سلاحي! فرجع بهم وهم يصدقونه، وذا أمر قد دبر بليل، فدخل الفرنج على أثرهم، وانتشروا، وهرب الناس إلى البلد، وقتل خلق من الشيوخ والولدان والنسوان، ونهب للناس ما لا يحصى، وانحصرت المدينة العظمى بالخلق فحاصرهم الفرنج شهوراً، وقاتلوهم أشد القتال، وعدم أهلها الأقوات، ومات خلق كثير جوعاً، ثم اتفق رأيهم مع أدفونش - لعنه الله - على أن يسلموها ويخرجوا بأمعتهم كلها، ففعل، ووفى لهم ووصلهم إلى مأمئهم في سنة أربع وثلاثين وست مئة».

لقد احتوت رواية أبي الوليد الفارطة على معلومات مهمة ودقيقة عن أحداث سقوط قرطبة، ويمكن إيضاحها في النقاط التالية:

- إن التخطيط لاستيلاء النصارى عليها جرى بالاتفاق بين ابن هود كبير قادة المسلمين حينذاك وبين الحاكم النصراني فرناندو (ملك قشتالة)، وكان تخلي ابن هود عنها مقابل مساعدته على استرداد مدينة لبلة التي خرج حاكمها المسلم عن طاعته.

- جاءت المبادرة من ابن هود في رسم خطة دخول النصارى قرطبة، حيث أكد للملك النصراني أنه لا يمكن أن يدخلها بديهة، أي مفاجأة أو بغتة؛ نظراً لحصانتها من ناحية، وحذر أهلها في تلك السنوات المضطربة من ناحية أخرى، ولذا تكفل ابن هود - وقد كانت تابعة لسلطته - بإهمال أمر الدفاع عنها من الخارج، وإخلائها من الحراس في الداخل، وقد حدد للنصارى وقت الهجوم عليها ومكانه.

- أمر ابن هود واليه في قرطبة - الذي لم تسمه الرواية -

بتضييع حراسة أمر القسم الشرقي من قرطبة، فلما قصده النصارى وجدوه خالياً، فبادروا بوضع السلاالم على السور، وصعدوا حتى استووا عليه، ودخلوا المدينة من هذه الناحية في وقت صلاة الفجر.

- وحسب الترتيب المسبق مع والي قرطبة تباطأ في التحرك لمواجهة الجنود النصارى المقتحمين للمدينة من ناحيتها الشرقية حتى يتمكنوا منها، فحينما أطلقت صرخات النذير باقتحام هؤلاء الجنود وقت صلاة الفجر، وطلب الناس منه مواجهتهم - دعاهم إلى الصبر حتى يضحي النهار، ولما أضحي توجه إلى المنطقة التي نزل فيها النصارى دون أن يستعد بسلاح فأشرف عليها، ثم عاد أدراجه متظاهراً بأنه يريد أن يلبس سلاحه للقتال، وهنا كان النصارى قد استكملوا دخولهم هذا القسم من المدينة وانتشروا في أرجائه، وراحوا يعملون سيوفهم في رقاب المسلمين، فيقتلون الشيوخ والنساء والصبيان، وينهبون ما يقع تحت أيدهم من أموال ومتاع.

- هرب سكان هذا القسم من المدينة مسرعين إلى القسم الغربي منها، وهو المسمى بالمدينة العظمى، فحاصرهم النصارى وقاتلوهم فيها شهوراً حتى عدمت الأقوات، ومات كثير من المسلمين جوعاً، فقرروا في النهاية أن يسلموا المدينة للملك النصراني بشرط أن يخرجوا بأمعتهم، ويتركهم حتى يبلغوا مأمئهم، فخرجوا منها سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م.

هكذا كانت قصة سقوط مدينة قرطبة كما رواها أبو الوليد ابن الحاج بالتفصيل، والظاهر أن عناية أبي الوليد بن الحاج بحادثة سقوط قرطبة، وتسجيله لتلك التفاصيل الدقيقة قد جاء نتيجة لكونها من المدن التي

يهمه أمرها كثيراً، فأصله كان من هذه المدينة، وفوق ذلك كان جده قاضياً لها أيام هجوم النصارى عليها، فخرج منها كما خرج غيره باحتلالهم لها^(١٦٦)، ولذا فالمنتظر منه - بصفته أحد المنتمين إلى هذه المدينة، وأحد أحفاد رجل من قضاتها - البحث عن تفاصيل قصة وقوعها بأيدي النصارى، والتفتيش عن الضالعين في ذلك من المسلمين، وكشف حقيقة عملهم المشين .

إن مثل هذه التفاصيل الدقيقة لحادث سقوط قرطبة لا نعثر عليها في المصادر الأندلسية والمغربية المتداولة بين أيدينا^(١٦٧)، وقد شكّا محمد عبد الله عنان^(١٦٨) - وهو من كبار المعنيين بتاريخ الأندلس كما هو مشهور - من إهمال الرواية الإسلامية لأخبار الأيام الأخيرة من تاريخ هذه المدينة، فقال «ومن الأسف أن الرواية الإسلامية التي تعنى دائماً أشد عناية بأحوال قرطبة وأخبارها، لا تمدنا عن هذه الفترة الأخيرة من حياة المدينة الأندلسية العظيمة، أو عن مأساة سقوطها، بأية تفاصيل شافية»، ولذا لجأ إلى الرواية النصرانية ليسد هذا النقص الظاهر^(١٦٩).

ومما ورد عن سقوط قرطبة عند الذهبي في روايات الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق، ما نقله عن أبي حيان الذي ذكر أن استيلاء النصارى على شرق قرطبة كان سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م^(١٧٠). كذلك ما رواه عن ابن عمران السبتي في تحديد سنة استيلائهم على شرقها أيضاً، ثم تحديد سنة استكمالهم الاستيلاء عليها كلها - فقال «وحدثني أبو القاسم بن عمران عن غير واحد من مشايخ سبتة: أن الفرنج استولوا على جميع قرطبة سنة ست هذه [يقصد سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٩م]، وذكر أن استيلاءهم على شرقها كان في سنة ثلاث وثلاثين [وستمائة]»^(١٧١).

وإذا كانت هاتان الروايتان كلتاهما تؤكدان على أن النصارى بدأوا استيلاءهم على مدينة قرطبة من شرقها في سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م فإن رواية أبي القاسم بن عمران السبتي فقط اختصت بالإفادة أن قرطبة لم تخلص للنصارى، ولم يسيطروا عليها بكافة أجزائها ومرافقها إلا بعد مضي ثلاث سنوات، وذلك في سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٦م، وقد تلقى أبو القاسم معلوماته تلك من غير واحد من مشايخ مدينته سبتة، ولا يستبعد أن تكون أخبار محنة قرطبة وأهلها قد استفاضت عن طريق النازحين منها إلى مدينة سبتة، إذ يلاحظ أن المصادر عرفت بطائفة من العلماء القرطبيين المستوطنين لسبتة بعد نزوحهم من مدينتهم قرطبة^(١٧٢).

٤ - الملحمة العظمى في غرناطة بين المسلمين والنصارى:

من الحوادث الكائنة في الأندلس التي نقل أخبارها القادمون إلى المشرق من الأندلسيين ما سمي بالملحمة العظمى، وقد جرت فصول أحداثها في غرناطة أيام حكم أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر (٧١٣هـ/١٢١٣م - ٧٢٥هـ/١٢٢٥م) الذي سبق ذكره، حيث هاجم نصارى قشتالة بقيادة دون بطره^(١٧٣) المسلمين في غرناطة، فجرت معركة كبيرة بين الطرفين في جمادى الأولى من عام ٧١٩هـ/١٣١٩م انتهت بنصر مؤزر لجيش المسلمين، وقد عني الذهبي بهذه المعركة، ونوه بما جرى فيها من غلبة وانتصار للإسلام والمسلمين، وقد اعتمد في نقل أخبارها بالتفصيل على صاحبه المحدث ابن ربيع الأشعري المالقي الأندلسي، فقال: «واشتهرت هذه الكائنة وصحت لدينا، ونقلها جماعة، منهم: رقيقنا المحدث أبو عبد الله بن ربيع - وكان هناك على بيع الغنيمة - فقال: لما بلغ العدو

حال السلطان الغالب بالله أبي الوليد إسماعيل بن فرج ابن الأحمر، وأنه محصن لبلاده استنفروا من جميع بلادهم ودخل دونبيرة [دون بطرة] صاحب قشتالة إلى الباب بطليطلة^(١٧٤) فأذن له وقوي عزمه ليستأصل ما بقي بالأندلس للمسلمين. فاستجد ابن الأحمر بصاحب فاس المريني فلم يتحرك^(١٧٥)، ولجأ الخلق إلى الله، واستغاثوا به، فأقبل الكفر في جيش ناهيك أنه اشتمل على خمسة وعشرين سلطاناً^(١٧٦)، وأتوا غرناطة، ونزلوا على نهر شَنْيَل^(١٧٧) ممتدين، فعزم السلطان ابن الأحمر على أمير جيوشه الصالح المجاهد أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء^(١٧٨) أن يبرز إليهم بالعسكر في نصف ربيع الآخر، وذلك يوم عيد العنصرة^(١٧٩) للعدو، وخرج من رجالة غرناطة نحو خمسة آلاف من المطوعة، فعزم عليهم أبو سعيد أن يرجعوا حياطة لهم، وأن يكون طريق الخيل لهم مصاحباً لكونه أمتع، وأوصاهم أن يثبتوا بمكان عينه لهم، وترجل أبو سعيد ويكى وسجد، فضج الخلق بالدعاء وحرك الفرسان الحرب، فاستشهد أمير رندة^(١٨٠)، فجاشت لمصرعه نفوس الأبطال، وحمل القتال، ووجه أبو سعيد إلى الرجالة أن يسرعوا إلى خيام العدو، فبادروا ونزل الخذلان على عباد الصليب، وعمل فيهم السيف أكثر النهار، وحاز المسلمون غنيمة لم نسمع بمثلا، وقتلت ملوكهم الكل، وأقل ما قيل أن عدد القتلى خمسون ألفاً، ومنهم طاغيتهم الأكبر دونبيرة، فصبر وعلق على باب غرناطة، ورتب للأسارى ولمن يحرسهم كل يوم خمسة آلاف درهم. وقيل كان عدة فرسان المسلمين ألفين وخمسمائة. وقيل أقل من ذلك. وذلت النصراني والتمسوا عقد هدنة^(١٨١).

هكذا دون الذهبي هذه الملحمة كما سمع خبرها من صاحبه المحدث ابن ربيع، وقد عول عليه أيضاً في موضع

آخر حينما ترجم للقائد النصراني في هذه المعركة، وسماه دون بطرو، وذكر أنه حين قتل هذا القائد وسلخ وحشي قطناً علق على باب غرناطة، وزاد عن ابن ربيع أنه بقي معلقاً على باب غرناطة سنوات^(١٨٢)، فبذلت الفرنج في إنزاله قناطير من الذهب «فامتتع ابن الأحمر إلا ببذل مدينة كبيرة». كما زاد أيضاً أن أكثر ما قيل في عدد قتلى النصراني «ثمانون ألفاً...» وأضاف «والعجب أنه لم يقتل من الأجناد [من المسلمين] سوى ثلاثة عشر فارساً^(١٨٣)».

لقد قدم لنا ابن ربيع في روايته معلومات وافية عن هذه المواجهة العسكرية الكبرى بين المسلمين ونصارى قشتالة على أرض غرناطة، فعرفنا بالجيش النصراني من حيث ظروف احتشاده وعدده وقائده والمنطقة التي عسكر فيها لمواجهة المسلمين، كما عرفنا بظروف جيش المسلمين وعدده وقائده، وكيف واجه الجيش النصراني الذي يفوقه في العدد، وانتصر عليه هذا الانتصار العظيم، كما اطلعنا على حجم الغنائم التي حصل عليها المسلمون من جراء هذه المعركة.

إن هذه المعلومات التي زودها ابن ربيع للذهبي عن هذه الملحمة لا نجدها بهذا التفصيل عند مؤرخ لغرناطة معاصر للذهبي، وهو ابن الخطيب^(١٨٤)، وميزة ابن ربيع أنه من شهود الأعيان الذين عايشوا لحظة بلحظة فصول تلك المواجهة العسكرية بين المسلمين والنصارى حتى اختير في نهايتها أن يكون على بيع غنائمها. ثم إنه لما روى للذهبي تلك المعلومات كان قريب عهد بها، فقد جرت هذه المعركة سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م وكان قدومه إلى دمشق ولقياه للذهبي - كما مر ذكره في التعريف به - سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، ثم لم يلبث أن توفي أيضاً في دمشق سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م؛ أي بعد ست سنوات من وقوع هذه الحادثة.

هـ - في أخبار علماء الأندلس :

في شمولية تراجمه للمشهورين في العالم الإسلامي قاطبة ترجم الذهبي في مصنفاته التاريخية لعلماء الأندلس كغيرهم من العلماء، وقد صرح في ترجمته لكثير من هؤلاء العلماء الأندلسيين سواء الذين عاشوا بالأندلس أو هاجروا إلى المغرب خلال القرن السابع وأوائل الثامن الهجري بإفادته معلومات عن حياتهم استقاها من القادمين إلى المشرق من أهل الأندلس والمغرب، وقد اختلفت تلك المعلومات من حيث كميتها ونوعيتها، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول - وهو قليل - جاء ترجمة كاملة، والقسم الثاني - وهو الأكثر - شمل جوانب معينة من حياة المترجم له. والقسم الثالث اقتصر على معلومة واحدة عن المترجم له، أو تحديد سنة الوفاة أو العمر .

ونظراً لكثرة النصوص التي نقلها الذهبي من الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق في تراجم علماء الأندلس إبان حقبة الدراسة؛ فإننا سنقتصر على الإشارة بالمعنى إلى محتواها، وقد نستشهد ببعض النصوص التي نرى أنه من المناسب الاستشهاد بها .

ففيما يتصل بالقسم الأول الذي أتت فيه الترجمة بعناصرها كلها من أقوال الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق فنراه في ترجمة الذهبي لأبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع الذي كان إمام النحو في زمانه، وقد عاش في إشبيلية، وتوفي في سبته سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م^(١٨٥) - فما أن ساق الذهبي^(١٨٦) أخباره قال «قرأت هذه الترجمة على قائلها أبي القاسم بن عمران [السبتي]، وقال: حضرت مجلس الأستاذ أبي الحسين، وسمعت عليه،

وأجازني...»، ونقل في موضع آخر هذه الترجمة بعباراتها مع اختلاف يسير، وقال «أخبرني هذا صاحبي أبو القاسم بن عمران السبتي»^(١٨٧).

كذلك في ترجمته لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الإشبيلي الفافقي شيخ القراء والنحاة الذي ولد بإشبيلية وحمل صغيراً منها لما استولى عليها النصاري سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، واستقر في سبته وتوفي بها سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م قال الذهبي حين ترجم له «حدثني بأخباره تلميذه أبو القاسم بن عمران الحضرمي [السبتي]»^(١٨٨)، وقد وردت هذه الترجمة في مصنف آخر للذهبي^(١٨٩).

ولما ترجم لأبي عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري القرطبي المالكي الذي انتهى إليه علو الإسناد في مالقة وتوفي بها سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م، وساق أخباره، قال: «ذكر أكثر هذا إليّ [كذا] سبطه محمد بن عبد الله بن ربيع»، وهذا يعني أن ترجمته في سياقها العام استفادها من سبطه محمد، أي ابن ابنته^(١٩٠)، وقد سبق أن مر معنا .

هذا ما وقفنا عليه من تراجم لعلماء أندلسيين في فترة دراستنا نقلها الذهبي بالكامل من الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق، واشتملت في عناصرها على جوانب مختلفة من حياة المترجم له، ويلاحظ أنه أخذها مباشرة من أناس قريبي الصلة بهم جداً، يعرفونهم حق المعرفة، ففي ترجمته للعالمين الأولين أخذ معلوماته عنهما من تلميذهما أبي القاسم بن عمران الحضرمي السبتي، والثالث استقى ترجمته من سبطه محمد بن عبد الله بن ربيع .

أما القسم الثاني الذي اشتمل على جوانب معينة من

حياة المترجم له، بحيث أن ما نقله الذهبي عن الرواة الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق لا يشكل إلا جزءاً من الترجمة - يتفاوت قلة وكثرة - فإننا نلمسه في كثير من تراجمه لعلماء الأندلس خلال القرن السابع وأوائل الثامن، وسنعرض هنا ما وجدناه من تلك الجوانب مرتبين ذلك على حسب وفيات المترجمين .

- أبو جعفر أحمد بن علي بن عون الله الداني الحصار (ت ٦٠٩هـ/١٢١٢م):

في ترجمته له نقل الذهبي^(١٩١) عن أبي القاسم بن عمران السبتي عن بعض شيوخه أن الحصار هذا كثيراً ما ينسخ أحد الكتب في الأسبوع، ويبيعه ويقتات بثمنه، وكان الناس يرغبون في خطه لإتقانه، وأنه كان عارفاً ورعاً.

- أبو محمد عبد الصمد بن عبد الرحمن بن أبي رجاء البلوي (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م):

أدرج الذهبي^(١٩٢) في ترجمته ما ورد عنه فيما كتبه أبو حيان له من أنه قرأ على أبيه، وسمع منه عدة كتب وهو صغير، وأن عدداً من العلماء رووا عنه ووثقوه .

- أبو الحسن علي بن محمد الغافقي السبتي الشاذلي (ت ٦٤٩هـ/١٢٥١م):

نقل الذهبي^(١٩٣) في ترجمته ما ذكره أبو القاسم بن عمران السبتي أن إخراجاً من مدينة سبتة، وتغريبه إلى مدينة مالقة في الأندلس، ومن ثم وفاته بها، كان بسبب مخالفته لتوجه كبراء سبتة للدخول في طاعة صاحب إفريقية .

- أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م):

لما ترجم له الذهبي^(١٩٤) ساق ما استفاده من أبي

حيان الأندلسي حول اسم والده وبعض الأمور المتعلقة بشخصيته .

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار (ت ٦٥٨هـ/م):

نقل الذهبي^(١٩٥) ما حكاه له أبو الوليد بن الحاج عن حادثة مقتله على يد حاكم تونس .

- أبو القاسم بن أحمد بن علي بن عصفور الهواري الأندلسي (ت ٦٦٣هـ/١٢٦٤م):

استفاد الذهبي^(١٩٦) في الترجمة له من أبي حيان من حيث ذكر شيخه الذي درس عليه، وتحديد تاريخ وفاته .

- أبو القاسم عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري القرطبي (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٨م):

لما ترجم له الذهبي^(١٩٧) ساق في شأنه ما نصه «قال أبو حيان: كان رطب المناظرة، مسدد النظر، منصفاً، أديباً، نحويّاً، فقيهاً، مشاركاً في الأصول وغيرها . وأجاز عاماً لأهل غرناطة، وتوفي في شوال بغرناطة رحمه الله» .

- أبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري القرطبي الغرناطي (ت ٦٧٣هـ/١٢٧٤م):

في ترجمة الذهبي^(١٩٨) له ذكر - نقلاً عن أبي حيان - العلوم التي يجيدها، وأشار إلى مذهبه ومصنفاته ومكانته عند سلطان غرناطة محمد بن محمد بن الأحمر .

- أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الإشبيلي المعروف بابن الضائع (ت ٦٨٠هـ/١٢٨١م):

ساق الذهبي^(١٩٩) ما حدثه أبو القاسم بن سهل من استفادته منه بالقراءة والعرض عليه في العربية وعلم الكلام والفقه، ثم نقل عنه وفاته بالأندلس .

- أبو القاسم بن الأيسر (ت بعد ٦٩٠هـ/١٢٩١م):

نقل الذهبي^(٢٠٠) ما قاله أبو عبد الله بن ربيع أنه أجازه

أن أبا جعفر بن الزبير قرأ القراءات السبع على أبي الوليد الأزدي الغرناطي العطار (ت بعد ٦٤٩هـ/١٢٥١م) ^(٢٠٨). كذلك أورد نقلاً عن أبي القاسم بن عمران نفسه أنه توفي في أوائل سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م بغرناطة ^(٢٠٩)، كما نص أنه قرأ بخط أبي حيان قوله: «توفي في ثاني ربيع الأول بغرناطة، وحضر جنازته السلطان» ^(٢١٠).

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن رشيد الفهري السبتي (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م):

نقل في ترجمته المطولة ما سمعه من ابن المرباط من أن ابن رشيد كان على مذهب أصحاب الحديث في الصفات، وأنه أثناء ولايته للخطابة في جامع غرناطة انتقدوا عليه أن يسكت هنيهة لدعاء الاستفتاح، ويسر بالبسملة، فقام القاضي ومعه جماعة بعمل محضر أنه ليس بمالكي ليغروا به السلطان، فكفاه الله ذلك بموت القاضي فجأة ^(٢١١).

- أبو جعفر أحمد بن حسن الكلاعي البلشي المعروف بابن الزيات (ت بعد ٧٣٠هـ/١٣٣٠م):

ضمّن الذهبي ^(٢١٢) ترجمته ما أخبره به أبو القاسم ابن عمران السبتي عن مولده وأخلاقه وبعض شيوخه، وأنه أنشأ قصيدة في القراءات عارض فيها الشاطبية، وأنه كان خطيب بلده. وقد أورد في موضع آخر الرواية نفسها مع اختلاف يسير، ولكنه ذكر أنه مما كتبه أبو القاسم بخطه ^(٢١٣). كما أشار إلى ما أملاه عليه أبو عبد الله بن ربيع من وجود هذا الشيخ أبي جعفر الزيات في بلدة بلش، وأنه شيخ كبير ^(٢١٤).

وإذا انتقلنا إلى القسم الثالث فيما نقله الذهبي عن الرواة الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق في تراجمه لعلماء الأندلس خلال القرن السابع وأوائل الثامن الهجري، وهي التي لا تتجاوز المعلومة الواحدة أو

وأعطاه نصف دينار، وأنه توفي بعد التسعين وست مائة.

- أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي (ت ٦٩١هـ/١٢٩١م):

ذكر الذهبي ^(٢١١) ما قاله أبو عبد الله الوادي أشي من انتفاعه به سماعاً وإجازة، وأنه مات في غرة المحرم بتونس.

- أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المالحقي المعروف بابن المرحل (ت ٦٩٩هـ/١٣٠٠م):

ذكر الذهبي ^(٢١٢) ما سمعه من أبي القاسم بن عمران السبتي من قدوم ابن المرحل من مالقة واستيطانه مدينة سبتة، وما جرى له في بلاد المغرب مع حكامها، وأورد أيضاً - نقلاً عن ابن عمران - شيئاً من شعره، ثم تاريخ وفاته.

- أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي الأندلسي القرطبي (ت ٧٠٢هـ/١٣٠٣م):

استفاد الذهبي في ترجمته له من اثنين؛ الأول أبو حيان الذي أنبأه بأنه في آخر عمره تغير تغير الهرم ^(٢١٣)، والثاني أبو عبد الله الوادي أشي الذي نقل عنه وفاته في تونس في ذي القعدة سنة ٧٠٢هـ/ ^(٢١٤)، وله مئة عام ^(٢١٥).

- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م):

نقل وصف أبي حيان له ما نصه «كان يحرق اللغة ويعلمني النطق بها، وكان أفصح عالم رأيته، وأشفقه على خلق الله تعالى، أماراً بالمعروف، وله صبر على المحن، ما كان يضحك إلا تبسماً، وكان ورعاً عاملاً، له اليد الطولى في علم الحديث والعربية والقرآن، ومشاركة في أصول الفقه، صنف في علم الكلام والفقه، وله كتب كثيرة وأمّهات، وله إثار وبر وخير» ^(٢١٦). وساق هذا الوصف في موضع آخر مع اختلاف في بعض العبارات مصرحاً بنقله أيضاً عن أبي حيان ^(٢١٧). وقد ذكر أبو القاسم بن عمران السبتي للذهبي

تاريخ الوفاة أو العمر فقد انحصر في مواضع معدودة من مصنفاته التاريخية، ففي ترجمته لأبي محمد عبد الله بن محمد العبدري المعروف بالكواب (ت ٦٣١هـ/١٢٣٤م) نقل ما أخبره به أبو حيان بأنه قرأ عليه الروايات^(٢١٥)، وحين أرخ لحوادث سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م أشار إلى وفاة ابن الربيع أبي سليمان بن عبد الرحمن بن ربيع في هذه السنة نقلاً عن أبي حيان، كما نقل أيضاً عن أبي حيان وفاة أبي عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع في سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م. وفي ترجمته لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد ابن الكماد الإشبيلي ذكر وفاته في عام ٦٦٠هـ/١٢٦٢م - وقال: «أرخه لنا ابن عمران السبتي، والصواب سنة ثلاث [وستين وستمائة]»^(٢١٦). وختم ترجمة أبي جعفر أحمد بن علي بن الطباع الرعيني الأندلسي بقوله: «قال لي ابن سهل: إنه مات سنة ثمانين وستمائة، وهو في عشر الثمانين»^(٢١٧). ولما ترجم لأبي عمر عياش بن الطفيل بن عزيمة العبدري الأندلسي (ت بعد ٧٠٠هـ/١٣٠٠م) نقل عن ابن ربيع أن أكثر طلبية الجزيرة الخضراء في الأندلس أخذوا القراءات عنه^(٢١٨). وفي ترجمة أبي القاسم محمد بن عبد الرحيم بن الطيب (ت ٧٠١هـ/١٣٠٢م) الذي هاجر إلى المغرب - نقل عن أبي القاسم بن عمران السبتي أنه لم يكن في عصره «من يضاويه في القراءات»^(٢١٩).

وبانتهاء استعراضنا لعلماء الأندلس الذين ترجم لهم الذهبي مستفيداً من أقوال الرواة القادمين إلى المشرق من الأندلسيين والمغاربة نكون قد حصرنا نحو ستة وعشرين عالماً، وقد رأينا أن أبا حيان الأندلسي كان أكثر من رجع إليه الذهبي في الترجمة لهم، حيث استند إلى إفاداته في ترجمة عشرة من أولئك العلماء، ولا غرو في ذلك فقد كان الذهبي - كما أشرنا سابقاً - كتب إليه

يسأله عما أشكل عليه في تراجم علماء الغرب الإسلامي، فأجابه في كتاب عنوانه «قَطَرُ الْحَبِي فِي جَوَابِ أَسْئَلَةِ الذَّهَبِيِّ»^(٢٢٠). ويأتي في المرتبة الثانية بعد أبي حيان في استفادة الذهبي منه في ترجمته لهؤلاء العلماء أبو القاسم بن عمران السبتي؛ حيث رجع إليه في ترجمة تسعة منهم. ويلاحظ أن الذهبي استفاد من أكثر من راوٍ من هؤلاء الرواة في بعض التراجم.

الخاتمة:

وبعد أن طوينا صفحات هذا البحث صفحة بعد أخرى دارسين كافة جوانبه وخباياه يحسن بنا هنا أن نوجز بالنقاط التالية أهم ما ورد في تلك الصفحات: - تبين لنا أن ثمانية من القادمين إلى المشرق من العلماء وطلبة العلم الأندلسيين والمغاربة نقل منهم الذهبي نقلاً مباشراً في عدد من كتبه التاريخية عن أخبار الأندلس خلال القرن السابع الهجري وأوائل الثامن، وقد قدم ستة منهم من بلاد الأندلس، وهم ابن الحاج وابن ربيع وابن سهل وأبو حيان وابن المرابط والنميري، واثنان من المغرب؛ وهما الوادي أشي الذي قدم من تونس، وكان أصله من الأندلس، والآخر قدم من المغرب الأقصى، وهو ابن عمران السبتي، وقد التقى بهم الذهبي جميعاً دون أبي حيان الذي لم يتمكن من لقائه، فأخذ منه بالكتابة. وقد علمنا أن أربعة من هؤلاء استوطنوا المشرق فلم يعودوا إلى بلادهم وهم ابن الحاج وابن ربيع وأبو حيان وابن المرابط، وثلاثة عادوا إلى بلادهم وهم الوادي أشي والنميري والسبتي، وواحد مات في طريقه إلى بلاده الأندلس وهو ابن سهل.

- كشفت لنا الروايات التاريخية التي صرح الذهبي

- تفردت إحدى الروايات بتفاصيل دقيقة عن أحداث سقوط مدينة قرطبة لا نراها في المصادر الأندلسية والمغربية المتداولة بين أيدينا .
- عرضت لنا إحدى الروايات ما جرى بين المسلمين والنصارى من قتال على مروج غرناطة، انتهى بنصر مؤزر للإسلام والمسلمين، وقد أطلق عليه الملحمة العظمى، وقد جاء في هذه الرواية من التفاصيل ما لم يفصله مؤرخو بني الأحمر، وكان قد رواها ابن ربيع المالقي الذي كلف بالقيام على بيع ما غنمه المسلمون فيها، وقد لقيه الذهبي بعد سنتين من حدوثها .
- قدمت روايات الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق معلومات متفرقة عن ستة وعشرين عالماً من علماء الأندلس، وكان أبو حيان الأندلسي أكثر الذين رجع إليهم الذهبي في ترجمة هؤلاء، حيث استند إلى أقواله في ترجمة عشرة منهم، ثم أتى بعده أبو القاسم بن عمران السبتي الذي رجع إليه الذهبي في ترجمة تسعة منهم.
- والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

بنقلها مباشرة من الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق عن جوانب مهمة في تاريخ الأندلس خلال القرن السابع وأوائل الثامن .

- قدمت لنا إحدى الروايات تفسيراً لتبرم أهل الأندلس بحكم الموحدين في أواخر الربع الأول من القرن السابع الهجري، فأرجعت ذلك إلى فساد أعمال الولاة الموحدين بالرغم من تظاهروهم بالصلاح .
- خصت بعض الروايات بالذكر أفراداً من الحكام والوزراء والقواد في الأندلس، فكشفت عن بعض أعمال محمد بن يوسف بن هود الذي ظهر في الأندلس قبيل قيام مملكة بني الأحمر في غرناطة، وعرضت لشذرات من سير ثلاثة من سلاطين بني الأحمر وهم حكام تلك المملكة؛ الثاني والثالث والرابع . كما ذكرت تفاصيل موسعة في أخبار أحد الوزراء في هذه المملكة، وهو محمد بن أحمد الغرناطي الملقب بالمحروق أو ابن المحروق، كذلك أفادت بمعلومات فريدة عن قائد عسكري أيام بني الأحمر لم نعن به المصادر التاريخية في الأندلس والمغرب، وهو محمد بن مفرج بن وليد المعروف بأبي الشوائل .

الهوامش

- ١ - وقد رجعنا في تاريخ الإسلام إلى ط. دار الغرب الإسلامي بتحقيق بشار عواد معروف، أما الذيل فقد استخدمنا ط. دار الكتاب العربي بتحقيق عمر عبد السلام تدمري .
- ٢ - وقد رجعنا في سير أعلام النبلاء إلى الطبعة المشهورة، ولكننا في الجزء المفقود رجعنا إلى ط. مكتبة الصفا بالقاهرة، وهوميثل الجزء الرابع عشر منها .
- ٣ - وقد رجعنا إلى الطبعة التركية المطبوعة في أربعة مجلدات، الرابع منها فهارس، وهي بتحقيق طيار آلتى قولاج، وهذه الطبعة تزيد في تراجمها على طبعة بشار عواد معروف وزميليه بخمسائة ترجمة، فضلاً عما جاء فيها في داخل التراجم من زيادات .
- ٤ - مصطلح المشرق يعني لدى الأندلسيين مصروما يقع شرقها من بلاد، وهذا واضح من كتب التراجم الأندلسية المختلفة . وقد نص المقرئ على أن الإسكندرية من المشرق بقوله «وبالإسكندرية من أرض المشرق» (نفع الطيب، ج ١، ص ٢٣٩) .
- ٥ - علي أحمد. الدور الفكري للأندلسيين والمغاربة في المشرق العربي، ص ٨١ .
- ٦ - راجع علي أحمد. الدور الفكري للأندلسيين والمغاربة، ص ١٢٦ - ١٧٩ .

- ٧ - حمد بن صالح السحيباني. اليسع الغافقي وجهوده في البحث التاريخي، ص ٢٢، ٥٠.
- ٨ - بشار عواد معروف. الذهبي ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام، ص ٣٨٥.
- ٩ - بشار عواد معروف. الذهبي ومنهجه، ص ٧١. عبد الستار الشيخ. الحافظ الذهبي، ص ١٩-٢٠. الوادي آشي. برنامجه: تحقيق محمد محفوظ، ص ١٤ من مقدمة المحقق.
- ١٠ - راجع في الألفاظ الدالة على السماع عند العلماء المسلمين (عباض. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ١٢٢)
- ١١ - الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٣٧٦. ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢١٣.
- ١٢ - ابن عذاري. البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٨٤.
- ١٣ - شريش Jeres قاعدة كورة شذونة في جنوب الأندلس (ابن غالب. فرحة الأنفس، ص ٢٥) وهي على مقربة من البحر (الحميري. صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٢).
- ١٤ - الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٣٧٦. ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢١٣.
- ١٥ - الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٣٧٦. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ١٥٣.
- ١٦ - تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ٣٩٤.
- ١٧ - سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ٢٠.
- ١٨ - سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ٣٣٧.
- ١٩ - الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ٢٠٢، ٢٠٣.
- ٢٠ - الذهبي. المعجم المختص، ص ٢٣٦.
- ٢١ - الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ٢٠٢.
- ٢٢ - الذهبي. المعجم المختص، ص ٢٣٦.
- ٢٣ - الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ٢٠٢.
- ٢٤ - الذهبي. المعجم المختص، ص ٢٣٦.
- ٢٥ - الذهبي. ذيل تاريخ الإسلام، ص ١٧٤. سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٣٨٠.
- ٢٦ - الذهبي. تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٧٤١.
- ٢٧ - الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ٢٧٢.
- ٢٨ - الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ٢٧٢؛ الصفدي. الوالي بالوفيات، ج ١، ص ٢٣٦. ابن كثير. البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٤٩. ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٤، ص ١١١.
- ٢٩ - الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ٢٧٢.
- ٣٠ - الصفدي. الوالي بالوفيات، ج ١، ص ٢٣٦.
- ٣١ - الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ٢٧٢.
- ٣٢ - ابن كثير. البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٤٩.
- ٣٣ - الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ٢٧٢-٢٧٣. المعجم المختص، ص ٢٥٧.
- ٣٤ - الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٢٢١؛ وانظر: تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٣٨٤.
- ٣٥ - الذهبي. تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٣٩٥.
- ٣٦ - السيوطي. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ٢٨٠.
- ٣٧ - الذهبي. معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤٧١. الوادي آشي. برنامجه، ص ٧٤. السيوطي. بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٨٠.
- ٣٨ - ابن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص ٤٦-٤٧. ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٢١. السيوطي. بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٨١.
- ٣٩ - الذهبي. معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤٧١-١٤٧٢. الصفدي. الوالي بالوفيات، ج ٥، ص ٢٦٧. ابن تفرج بردي. النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١١٢.
- ٤٠ - ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٢١. المقري. نفح الطيب، ج ٢، ص ٥٦٣.
- ٤١ - الصفدي. الوالي بالوفيات، ج ٥، ص ٢٦٧. ابن تفرج بردي. النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١١٢.
- ٤٢ - الصفدي. الوالي بالوفيات، ج ٥، ص ٢٨٠-٢٨١. السيوطي. بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٨٢-٢٨٣.
- ٤٣ - الحسيني. ذيل العبر، ص ١٢٤. ابن تفرج بردي. النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١١٥.
- ٤٤ - الصفدي. الوالي بالوفيات، ج ٥، ص ٢٦٨.

٧١- ابن رافع. الوفيات، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣. ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٩.

٧٢- ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٩. السيوطي. ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٣٥٩، طبقات الحفاظ، ص ٥٣١.

٧٣- ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٩. السخاوي. وجيز الكلام، ج ١، ص ٥٨.

٧٤- الذهبي. ذيل تاريخ الإسلام، ص ٨٨، سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ١٢٣.

٧٥- الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ١٢٤. وقد ذكر ابن حجر أنه رأى رسالة لابن المرباط حط فيه على الذهبي، وأفرط فيها بدمه (الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٩) قد عاب على الذهبي ثلثه للناس، وذكره لمساويهم، وعد ذلك غيبة لا تجوز، إذ يرى أن الجرح قد انقطعت فائدته من رأس الأربعمئة، وقد قسم تاريخ الذهبي إلى أربعة أقسام؛ قسم منها محض غيبة (السيوطي. ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٣٥٩، حاشية ١) وانظر السخاوي. الإعلان بالتوبيخ، ص ٨٧، ٩٥، ٩٩.

٧٦- الذهبي. المعجم المختص، ص ٥٤. ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ١، ص ٢٣. التنبكتي. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج ١، ص ٤٦. المقري. نفح الطيب، ج ٢، ص ٥٣٤.

٧٧- ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ٣٤٢؛ المقري. نفح الطيب، ج ٧، ص ١٠٨.

٧٨- ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ٣٦٢.

٧٩- ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ١، ص ٢٣.

٨٠- ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ٣٤٣.

٨١- ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ١، ص ٢٣.

٨٢- ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ٣٤٣؛ المقري. نفح الطيب، ج ٧، ص ١٠٩.

٨٣- ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ٣٤٣.

٨٤- ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ١، ص ٢٣. المقري. نفح الطيب، ج ٧، ص ١١٠.

٨٥- المقري. نفح الطيب، ج ١، ص ١١١.

٨٦- ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ٣٤٤-٣٤٥.

٤٥- الصفدي. الوافي بالوفيات، ج ٥، ص ٢٨١. المقري. نفح الطيب، ج ٢، ص ٥٥٢.

٤٦- الذهبي. ذيل تاريخ الإسلام، ص ٨١. سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٣٢٣.

٤٧- الذهبي. معرفة القراء، ج ٣، ص ١١٨٣.

٤٨- ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٥١.

٤٩- الوادي آشي. برنامج، ص ٩ من مقدمة المحقق.

٥٠- الإدريسي. نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩.

٥١- ابن القاضي. درة الحجال في أسماء الرجال، ج ٢، ص ١٠٢.

٥٢- ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٥١.

٥٣- الذهبي. تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٧٨٧.

٥٤- الصفدي. الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢٨٣. ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٥١.

٥٥- ابن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص ١٦٣.

٥٦- ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٥١.

٥٧- ابن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص ١٦٣.

٥٨- ابن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص ١٦٤.

٥٩- الذهبي. معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤٩٦-١٤٩٧.

٦٠- ابن فرحون. الديباج المذهب، ج ٢، ص ٣٠٠.

٦١- ابن الجزري. غاية النهاية، ج ٢، ص ١٠٦. ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٥٢.

٦٢- الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ١٨٠.

٦٣- الوادي آشي. برنامج، ص ١٤ من مقدمة المحقق.

٦٤- الذهبي. تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٧٨٧.

٦٥- المعجم المختص، ص ٢٢٦.

٦٦- الذهبي. ذيل تاريخ الإسلام، ص ٣٧.

٦٧- الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٩٧.

٦٨- ابن رافع. الوفيات، ج ٢، ص ١٤٢؛ السخاوي. وجيز الكلام، ج ١، ص ٥٨.

٦٩- ابن حجر. الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٩؛ السيوطي. ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٣٥٩، طبقات الحفاظ، ص ٥٣١.

٧٠- ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ١٨٩.

٨٧- ذاك أنه سجل حادثة اختطاف النصارى للسفينة التي كانت تقله مع جماعة من المسلمين، فذكر أن خروجه من المرية في السادس من ربيع الآخر سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م، ثم كانت عودته إلى الأندلس بعد فك أسره في جمادى الآخرة من هذه السنة (ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٣٦٣) وقد نقل محمد ابن شقرون أن وفاته كانت بعد سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م معتمداً على كتابات دي بريماري، ولم يذكر الحادثة أو المصدر الذي عول عليه في قوله بهذا التاريخ (ابن الحاج فيض العباب، ص ٢٦، ٢٧ من مقدمة التحقيق).

٨٨- ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٣٤٦-٣٤٧. التبتكي. نيل الابتهاج، ج ١، ص ٤٧. المقرئ. نفع الطيب، ج ٧، ص ١٠٩.

٨٩- وقد طبع بعنوان: «فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب»، ويؤكد محققه أن هذا الكتاب عبارة عن رحلة دونها النميري في أوراق مبعثرة، وتقاييد مبددة، فتسخها بعد وفاته ابن أخيه إبراهيم بن أبي عمر النميري (ابن الحاج النميري. فيض العباب: تحقيق محمد ابن شقرون، ص ٦٣، ٦٤).

٩٠- ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٣٤٧-٣٦٢، الكتيبة الكامنة، ص ٢٦١-٢٦٩. المقرئ. نفع الطيب، ج ٧، ص ١١٠-١٢٠.

٩١- المعجم المختص، ص ٥٤.

٩٢- المقرئ. نفع الطيب، ج ٧، ص ١١٠.

٩٣- الذهبي. ذيل تاريخ الإسلام، ص ٢٩٦.

٩٤- الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ١٥٤. المعجم المختص، ص ٢٢٠.

٩٥- الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ١٥٤.

٩٦- الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ١٥٤.

٩٧- الصفي. الوالي بالوفيات، ج ٦، ص ٢٢٣.

٩٨- الذهبي. المعجم المختص، ص ٢٢١.

٩٩- الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ١٥٤. المعجم المختص، ص ٢٢١.

١٠٠- وبلاد التكرور هي منطقة مالي الكائنة جنوب المغرب، والعامة هم الذين يسمونها بالتكرور (القلقشندي. صبح

الأعشى، ج ٥، ص ٢٧١).

١٠١- الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ١٥٤.

١٠٢- ترجم ابن الخطيب لقاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي، وذكر أنه من أهل سبتة، وأنه كان شيخاً يتقد ذكاءً، وقد رحل إلى الحجاز وقضى فريضة الحج، وتجول في بلاد المشرق نحو أربعة عشر عاماً، وأخذ من جلة العلماء، وأنه ورد غرناطة سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، فأخذ من مشايخها، ثم عاد إلى بلده سبتة، فكان على خزانة الكتب بها، وكان يقرئ القرآن، وله في القراءات مصنف عنوانه «الشاي في اختصار التيسير الكلي». أما وفاته فكانت في الطاعون العام الذي اجتاح البلاد، وقد كان في سنتي ٧٤٩هـ و ٧٥٠هـ/١٣٤٨م و ١٣٤٩م (الإحاطة، ج ٤، ص ٢٦٧-٢٦٨) ويلاحظ تشابه ملامح حياة هذا الذي ترجم له ابن الخطيب مع ملامح حياة أبي القاسم بن عمران الحضرمي السبتي الذي ترجمنا له في المتن حتى كأنه هو في بعضها. فهل سقطت عند ابن الخطيب أداة التكنية «أبو»، فرسم القاسم مجرداً منها ١٩.

١٠٣- الذهبي. المعجم المختص، ص ٢٢١.

١٠٤- الذهبي. معجم الشيوخ، ج ٢، ص ١٥٤.

١٠٥- الذهبي. معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤١٧.

١٠٦- الذهبي. تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٨٢.

١٠٧- الذهبي. معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤٩٠.

١٠٨- ذكر الذهبي في موضعين من كتبه رجلاً يسمى محمد بن سعد العاشق، ربط روايته برواية ابن ربيع: فذكره مرة مع ابن ربيع في خبر امرأة بالجزيرة الخضراء اسمها عائشة بقيت أزيد من عشرين عاماً لا تأكل شيئاً !! (سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ١٠٦) ومرة ذكره مع ابن ربيع أيضاً في وجود ابن الزيات في بلش (معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤٩٠) وقد بحثنا ترجمة لهذا الرجل في المصادر التي بين أيدينا فلم نظفر بشيء من ذلك، وربما أنه من عوام أهل الأندلس الذين قدموا دمشق. ثم لو فرضنا وجود ترجمة له فإنه ليس في الروايتين اللتين شارك فيهما ابن ربيع فائدة لموضوعنا.

١٠٩- شاكر مصطفى. التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٤، ص ٥٣.

١١٠- راجع بشار عواد معروف. الذهبي ومنهجه، ص ٢٢٧، ٢٢٢.

١١١- راجع بشار عواد معروف. الذهبي ومنهجه، ص ٣٢٨.

١١٢- الموحدون: قامت دولتهم على أنقاض دولة المرابطين، حيث قام بدعوتهم محمد بن تومرت، ولما توفي سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م خلفه تلميذه عبد المؤمن ابن علي الذي قضى على المرابطين، وورث حكمهم في المغرب والأندلس، وما زالت ذريته يتعاقبون على الحكم حتى قضى عليهم بنو مرين سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م (ابن الخطيب. شرح رقم الحل، ص ١٩٦-٢٠٧).

١١٣- ابن هود: من ذرية بني هود الجذاميين الذين حكموا سرقسطة أيام دول الطوائف (ابن الخطيب. أعمال الأعلام، ق ٢، ص ١٧٧، ٢٧٨).

١١٤- انظر: قصيدة ابن مرج الكحل في ابن هود (ابن الخطيب. أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٧٨).

١١٥- ماردة Merida: مدينة في غرب الأندلس، تقع إلى الشمال الغربي من قرطبة (الحميري. صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٥. مجهول. تاريخ الأندلس، ص ١٠٤، ١٠٥).

١١٦- عَزَق: يقال عَزَقَ الأرض يعزقها عَزَقاً أي شقها (البيهقي. تاج العروس، ج ١٣، ص ٢٣١) ويظهر أن معنى قوله «وكانت تلك الأرض مديسة بماء وعزق تسمرت فيها الخيل إلى أباطها» أي أنها موطأة أو مهدة للزرع، وكانت معزوقة ومليئة بالماء، ولذا غاصت فيها الخيل إلى أباطها.

١١٧- جاء عند ابن الخطيب بعد ذكره لغزو ابن هود بلاد النصاري قوله: «فجلبوا كثيراً من الغنم والأسرى»، وقد صوبها المحقق الفنائم بدلاً من الغنم (الإحاطة، ج ٢، ص ١٢٩ وحاشية ١).

١١٨- يسمى ابن عذاري التائر في لبلة: ابن محفوظ، وقد ذكر أن ثورته على ابن هود سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٣٥م (البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣١). أما نَبْلَة Niebla: مدينة تقع إلى الغرب من مدينة إشبيلية (ابن غالب. فرحة الأنفس، ص ٢٣) بينها وبين البحر المحيط ستة أميال (الحميري. صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٩).

١١٩- الأذفوش: يأتي هذا اللفظ بصور مختلفة في المصادر

الإسلامية، فيأتي الأذفوش وأذفوش وأذفوش والفنش (ابن عذاري. البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣١، ٣٨٤؛ الحميري. صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٢، ١٠٨، ١٠٩) ويظهر أن بعض المصادر تعودت أن تسمي ملك قشتالة بهذا اللقب، وإلا فإن هذا الملك النصراني هو فرناندو الثالث بن الفونسو التاسع (الحجي. التاريخ الأندلسي، ص ٤٦٧، ٤٧٢) وفرناندو الثالث Fernando III حكم من سنة ٦١٤هـ/ ١٢١١م - ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م (Jose Terrero: Historia de Espana, p.104) ويسميه ابن الخطيب فراندة ابن ألفونسو ابن شانجة (اللمحة البدرية، ص ٤٧) أو هراندة بن شانجة بن ألنشة بن هراندة (الإحاطة، ج ١، ص ٢٨٣).

١٢٠- كانت هذه الغزوة إلى ماردة سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م (ابن عذاري. البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٩. ابن الخطيب. أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٨٠، الإحاطة، ج ٢، ص ١٣٠).

١٢١- بنو الأحمر: ينتسبون إلى سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه (ابن الخطيب. الللمحة البدرية، ص ٣٣، شرح رقم الحل، ص ٣١٩).

١٢٢- ابن الخطيب. الللمحة البدرية، ص ٤٧، ٤٨. ابن جزي: كتاب الخيل، ص ٢٣، ٢٥.

١٢٣- ذيل تاريخ الإسلام، ص ٨٨.

١٢٤- أبو الوليد بن الأحمر: النفحة النصرية والللمحة الميرينية، ص ٣٨.

١٢٥- طريف: جزيرة طريف Tarifa كانت تسمى قبل الفتح الإسلامي بالوما Palomas (الحجي. التاريخ الأندلسي، ص ٤٥-٤٦) وقد سميت بعد الفتح باسم فاتحها طريف بن مالك. وهي تقع في أول المجاز، ويتصل غربيها بالبحر المحيط (الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٧).

١٢٦- قيجاطة Quesada: مدينة من أعمال جيان (الحميري. صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٥) وتقع على مقربة من أبدة (ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ٥٦١ حاشية ٥).

١٢٧- ربض جيان: أي ضاحية جيان.

١٢٨- القبذاق Alcaudete: حصن كبير بين باغة وجيان (الإدريسي. نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٧١).

١٢٩- لم يكن ابن المرباط دقيقاً في تحديد السنة التي جرى فيها اللقاء

بين ابن الأحمر والسلطان المريني، فقد ذكرت المصادر أن النصراني استولوا على طريف سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م، وأن ابن الأحمر عبر إلى المغرب والتقى بالسلطان المريني في ذي القعدة سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م (ابن أبي زرع. الأندلس المطرب، ص ٥٠٦، ٥٠٢، ابن خلدون. العبر، ج ٧، ص ٢٨٦).

١٣٠- وقد أورد ابن خلدون قصيدة لابن المراتب على لسان ابن الأحمر يستعطف بها السلطان المريني، وقال: إنها «من نظم كاتبه أبي عمرو بن المراتب» (العبر، ج ٧، ص ٢٦٣).

١٣١- سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ١٢٣-١٢٤.

١٣٢- ذيل تاريخ الإسلام، ص ٨٨. وفي موضع آخر قال «ثم قال: لي أبو عمرو بن المراتب: بل توفي [يعني ابن الأحمر] في ثامن شعبان سنة إحدى وسبعمائة» (سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ١٢٣).

١٣٣- النباهي. نص مهمل عن بني نصر، مأخوذ من كتاب شرح المقامة النخيلية، ص ١٣٤، ١٣٧. القلقشندي. صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٥٢.

١٣٤- النباهي. نص مهمل عن بني نصر، ص ١٣٧، ١٤٠.

١٣٥- ذيل تاريخ الإسلام، ص ٨٨.

١٣٦- سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٣٢٨.

١٣٧- ابن الخطيب. الإحاطة، ج ٤، ص ٢٤٧.

١٣٨- النباهي. نص مهمل عن بني نصر في الأندلس، ص ١٣٤.

١٣٩- ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ٥٥٢، ج ٢، ص ٢٣٤، اللوحة البدرية، ص ٦٧. النباهي. نص مهمل عن بني نصر، ص ١٣٧.

ابن خلدون. العبر، ج ٤، ص ٢٢١.

١٤٠- ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ٥٥٤، اللوحة البدرية، ص ٦٨.

١٤١- النباهي. نص مهمل عن بني نصر، ص ١٣٨. ابن جزي، كتاب الخيل، ص ٢٦.

١٤٢- ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ٥٥٥، اللوحة البدرية، ص ٦٨.

١٤٣- ذيل تاريخ الإسلام، ص ٢٩٦-٢٩٧.

١٤٤- الشاهد: وظيفة من وظائف ديوان الكتاب، ومهمة صاحبها الشهادة بمتعلقات الديوان نفيًا وإثباتًا (القلقشندي. صبح

الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٧).

١٤٥- أبو الجيوش: هو نصر بن محمد بن محمد بن الأحمر، وقد مر ذكره، وقد حكم مملكة غرناطة ما بين سنتي ٧٠٨هـ/١٣٠٨م - ٧١٣هـ/١٣١٣م.

١٤٦- أبو الوليد هذا الذي تولى حكم مملكة غرناطة ليس ولد أبي الجيوش، وإنما هو ابن أخته، وهو في الوقت نفسه حفيد عم أبيه، واسمه أبو الوليد إسماعيل بن أبي سعيد فرج بن إسماعيل ابن يوسف بن نصر (النباهي. نص مهمل عن بني نصر، ص ١٤٠) فإسماعيل جد أبي الوليد هذا هو أخو مؤسس دولة بني الأحمر: محمد بن يوسف بن نصر (ابن الخطيب. اللوحة البدرية، ص ٧٨) وقد تولى الحكم من سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م - ٧٢٥هـ/١٣٢٥م (المصدر نفسه، ص ٨٤، ٨٨).

١٤٧- الوزير أبو الحسن بن مسعود: هو علي بن مسعود بن علي بن مسعود المحاربي (ابن الخطيب. الإحاطة، ج ٤، ص ٧٠، اللوحة البدرية، ص ٧٩) ومقتل السلطان أبي الوليد حدث عند خروجه إلى مجلس كان يجلس فيه للناس في حاضرة ملكه، فقد خرج عليه ابن عمه محمد بن إسماعيل الذي كان على خلاف معه، فضربه بخنجر كان يخفيه ثلاث طعنات أدت إلى مقتله، وقد وثب الوزير أبو الحسن بن مسعود للدفاع عن سيده، فقاتله السيوف، وأُخذ بالجراح (ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٣٩٢، ج ٤، ص ٧١، اللوحة البدرية، ص ٨٧) وقد لزم بيته يتجرع آلام الجراح حتى توفي بعد نحو شهر من تلك الحادثة (النباهي. نص مهمل عن بني نصر، ص ١٤٦).

١٤٨- وقد حكم بين سنتي ٧٢٥هـ/١٣٢٥م - ٧٣٣هـ/١٣٣٣م (ابن الخطيب. اللوحة البدرية، ص ٩٧-٩٨. النباهي. نص مهمل عن بني نصر، ص ١٤٧، ١٤٨).

١٤٩- عثمان بن أبي العلاء هو أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء إدريس ابن عبد الله بن عبد الحق، من أبناء عم بني مرين حكام المغرب، فبنو مرين الحكام من ولد يعقوب بن عبد الحق، وعثمان هذا من ولد عبد الله بن عبد الحق، وكان يعرف بشيخ الغزاة في الأندلس (ابن الخطيب. الإحاطة، ج ٤، ص ٧٧، ٨٠) ذاك أنه في ظل التفاهم بين المرينيين وبني الأحمر نزحت من المغرب مجموعة من المجاهدين من بني مرين وغيرهم للإقامة في غرناطة ليكونوا

- وتوفي سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م (المصدر نفسه، ج ٧، ص ٤٩٥-٤٩٧).
- ١٥٨- ولد السلطان محمد في المحرم سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م. ابن الخطيب.
- اللمحة البدرية، ص ٩٧.
- ١٥٩- مضت عادة حكام بني الأحمر أن يكون مقر قيادة مشيخة الغزاة في عاصمتهم غرناطة (أحمد الطوخي. مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، ص ٢٢٤) ويذكر ابن الخطيب أن وصول المحروق إلى الوزارة كان بفضل ترشيح عثمان بن أبي العلاء هذا (الإحاطة، ج ٢، ص ١٣٧).
- ١٦٠- يذكر ابن الخطيب أن هذا الوزير أفرط في حجب السلطان، ومنع الدخول عليه، وأنه كان يتكئ على جدة السلطان في ذلك. وعن قتله يذكر أنه هجم عليه اثنان من الفتيان في دار هذه الجدة، وتناولاه بالخنجر، فرمى نفسه في صهريج الدار، وما زال يتعاورانه حتى قتلاه (الإحاطة، ج ٢، ص ١٣٧) أما ابن خلدون فيذكر أن عمه السلطان هي التي كان يتكئ عليها الوزير في الحجر عليه، وأن قتله كان في دار السلطان نفسه (العبر، ج ٤، ص ٢٢٢).
- ١٦١- الذهبي. تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ١٢١. وترجمة أبي الشوائل الذي ساقها الذهبي وردت بعباراتها مع اختلاف لا يذكر في بعض الكلمات - لدى الصنفدي (الوافي بالوفيات، ج ٥، ص ٥٠).
- ١٦٢- البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣١.
- ١٦٢- الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ٢١-٢٢.
- ١٦٤- سبق لنا التعليق على لفظ الأدفونش.
- ١٦٥- لعل صحة العبارة ليستقيم الكلام «وإنما نهمل [بالتون] أمرها، ونُخْلِها [أيضاً بالتون] من حرس». فالمتكلم هو ابن هود.
- ١٦٦- ابن الأبار. التكملة، ج ٢، ص ١٤٦. ابن عبد الملك المراكشي. الذيل والتكملة، س ٦، ص ٤٢-٤٣.
- ١٦٧- انظر ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٥٧. ابن عذاري. البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣١. ابن أبي زرع. الأنياس المطرب، ص ٣٦٢. المقرئ. نفح الطيب، ج ١، ص ٤٥٨، ج ٤، ص ٤٧٢. مجهول. تاريخ الأندلس، ص ٢٦٦، ٧٥.
- ١٦٨- عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٤١٨.
- ١٦٩- وملخص ما ورد في المصادر النصرانية عن سقوط قرطبة أن جماعة من الفرسان القشتاليين انطلقوا من أندوجر صوب قرطبة، فأشرفوا

- على أهبة الاستعداد للجهاد في الأندلس، وقد أصبحوا ينتظمون في خطة معروفة سميت: مشيخة الغزاة (الحجي).
- التاريخ الأندلسي، ص ٥٤٠) خاض عثمان بن أبي العلاء - كما قيل - سبعمائة واثنين وثلاثين غزوة، وتوفي في ذي الحجة سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م (ابن الخطيب. الإحاطة، ج ٤، ص ٨٠. المقرئ. نفح الطيب، ج ١، ص ٤٥٣).
- ١٥٠- المَرِيَّة Almeria: مدينة بناها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م (الحميري. صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٣) تقع على ساحل البحر المتوسط في الجنوب الشرقي من الأندلس (الحجي. التاريخ الأندلسي، ص ٣٠٤).
- ١٥١- أُنْدَرَش Andrax: مدينة من أعمال المرية (الحميري. صفة جزيرة الأندلس، ص ٢١) تقع إلى الشمال الغربي منها (ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ١٥٨ حاشية ٤).
- ١٥٢- النائرة أي الحقد والعداوة، أو الكائنة تقع بين القوم (الزبيدي. تاج العروس، ج ٧، ص ٥٧٤).
- ١٥٣- رُنْدَة Ronda: مدينة من مدن كورة تاكرنا في جنوب الأندلس (الحميري. صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٩، ٦٢).
- ١٥٤- مَرِيَّة: هي مَرِيَّة وليست مَرِيَّة (ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ٥٣٦) ومريلة Marbella تقع على ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب الغربي من مالقة (المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٧ حاشية ٤).
- ١٥٥- هو سلطان المغرب المريني أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. تولى الحكم من سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م حتى وفاته سنة ٧٣١ هـ / ١٣٣١ م (ابن الخطيب. الللمحة البدرية، ص ٧٢، ٩٤. ابن خلدون. العبر، ج ٧، ص ٣٢٠، ٣٢٤).
- ١٥٦- تنمر: إذا تشبه بالنمر في شراسة الأخلاق، ويقال تنمر له: تنكر وتغير وأوعده (الزبيدي. تاج العروس، ج ٧، ص ٥٦٢).
- ١٥٧- يحيى بن راحوا وتكتب «رحو» هو أبو زكريا يحيى بن عمر بن رحو ابن عبد الله بن عبد الحق المريني (ابن الخطيب. الإحاطة، ج ٤، ص ٣٦٥) وكان الوزير المحروق قد جاء به منافساً لأبي العلاء لما أبده عن غرناطة (ابن خلدون. العبر، ج ٧، ص ٤٩٢) وقد تكررت رئاسته على مشيخة الغزاة في غرناطة أكثر من مرة،

عليها من جهتها الشرقية لما حل الظلام، ووضعوا خطة لاقتحامها، وثمة روايات تشرح كيفية دخول النصارى قرطبة؛ الأولى تشير إلى أن أسرى مسلمين لدى القشتاليين كانوا ساخطين على زعمائهم، فتفاهموا مع القشتاليين على إحداث ثلثة في السور، ومن ثم اقتحموا منها، واستولوا على أبراج الأسوار في ليلة حالكة الظلام، عاتية الريح (عنان. عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ١٨: Joseph McCabe: The Splendour of Moorish Spain, P. 159) والثانية تحدد أن بعض المسلمين في المدينة، ومنهم واحد ارتد عن دينه وتتصر. اتصلوا بالقشتاليين، وبينوا لهم أن القسم الشرقي من قرطبة ضعيف الأسوار، قتلوا عدداً كبيراً من المسلمين، فهرب الباقون إلى داخل المدينة (عنان. عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٤٢٠) والرواية الثالثة تشير إلى أن النصارى في المدينة هم الذين فتحو أبوابها للقشتاليين (Antonio Ubieto: Intro- duction a la Historia de Espana, p. 199)

١٧٠- تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ١٤.

١٧١- تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ٢٢.

١٧٢- انظر ابن الأبار. التكملة، ج ١، ص ١١٣، ١٦٤، ج ٢، ص ٣٠٠، ج ٣، ص ٢٤١.

١٧٣- دون بطره Don Pedro هو عم الحاكم القشتالي الفونسو الحادي عشر Alfonso XI والوصي عليه، حيث نصب الفونسو حاكماً على قشتالة وعمره ثلاثة عشر شهراً فقط (ابن الخطيب. أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٣٣٤. وانظر عنان. نهاية الأندلس، ص ١١٨. محمد محمود النشار. علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطة الممالك، ص ٧٧) وكانت ولاية الفونسو الحادي عشر قد امتدت من سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م - ٧٥٠هـ/١٣٥٠م، وأخذ بتصريف مملكته حينما بلغ الرابعة عشرة من العمر، وعلى طول عهده قاد حملات عسكرية كثيرة لغزو أراضي المسلمين حتى توفي بالبواب الذي عم جيشه وهو يحاصر جبل طارق (Jose Terre-ro: Historia de Espana, p.109-110; Emilio Mitre: La Espana medieval, p.256-258).

١٧٤- يقصد رئيس كنيسة طليطلة، وهو رأس الكنيسة الإسبانية،

ويسمى كردينال أو مطران طليطلة (عنان. نهاية الأندلس، ص ٢١٤).

١٧٥- وهو السلطان أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، وقد حكم كما سبق من سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م - ٧٣١هـ/١٣٣١م. ويذكر ابن خلدون أن عدم تحركه لانجناد أهل غرناطة كان بسبب خلافه مع شيخ الغزاة المغربي في غرناطة ابن عمه أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء (العبر، ج ٧، ص ٣٣٠). ١٧٦- يذكر عنان أن في هذا الجيش عدداً كبيراً من الأمراء القشتاليين، وفرقة من المتطوعين الإنجليز بقيادة أمير إنجليزي (نهاية الأندلس، ص ١١٨، ١٧١).

١٧٧- نهر شنيل Genil وهو النهر الذي تقع عليه مدينة غرناطة (الإدريسي. نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٦٩، ٥٧٢. ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ١١٨).

١٧٨- وهو رئيس مشيخة الغزاة، وقد سبق إن عرفنا به.

١٧٩- عيد العنصرة: هو عيد سان خوان، ويحتفل فيه بإسبانيا في ٢٤ يونيو، وهو يقابل عيد النيروز في الشرق (أحمد مختار العبادي. الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، م ١٥، ١٩٧٠، ص ١٤٠).

١٨٠- ورندة: مدينة سلف التعريف بها.

١٨١- الذهبي. العبر في خبر من غير، ج ٤ (ذيل العبر)، ص ٥٣. ١٨٢- قال ابن الخطيب «واستقر ملكهم القتل بأيدي المسلمين بعد فرارهم، فجعل في تابوت خشب، ونصب بالسور المنازل من الحمراء يسار الداخل بباب يعقوب من أبوابها، إذاعة للشهرة، وتثبيتاً لتخليد الفخر»، ثم ذكر أنه وجد عظامه في مكان يرميه الصبيان، وذلك بعد مرور خمسين سنة من هذه الملحمة (الإحاطة، ج ١، ص ٢٨٩، ٢٩٠) وقد كرر ما قاله هنا بأسلوب آخر في مصنف آخر (أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٣٢٤) وقال ابن خلدون «ونصب رأس بطرة بسور البلد عبرة لمن يذكر، وهو باق هنالك لهذا العهد» (العبر، ج ٧، ص ٢٣١).

١٨٣- الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٢٨٠. وجدير بالذكر أن الذهبي عرض لأخبار هذه الملحمة في مصنفات أخرى له دون أن يحيل على ابن ربيع (ذيل تاريخ الإسلام،

- ص ٢٩٧، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٢٧).
- ١٨٤- انظر ما كتبه في (الإحاطة، ج ١، ص ٣٨٩: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٩٥).
- ١٨٥- الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ١٩٤.
- ١٨٦- تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٦١١-٦١٢.
- ١٨٧- سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ١٩٤. وفي موضع ثالث ساق ترجمة لأبي الحسين فاكثفي في جزء صغير منها بالعزو إلى أبي القاسم بن عمران (معرفة القراء، ج ٣، ص ١٣٩٦).
- ١٨٨- ذيل تاريخ الإسلام، ص ١٤١-١٤٢.
- ١٨٩- سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٣٥٨-٣٥٩. وفي مصنف ثالث ترجم الذهبي للفاقي ولم يظهر أنه اعتمد في معلوماته عنه على أبي القاسم السبتي، ولكنه قال: حكى عنه بعض أموره (معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤٦٦).
- ١٩٠- يظهر أن عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى بن ربيع والد محمد تزوج ابنة عمه المترجم له: محمد بن يحيى بن ربيع.
- ١٩١- معرفة القراء، ج ٢، ص ١١٥٣-١١٥٤.
- ١٩٢- معرفة القراء، ج ٣، ص ١١٨٣.
- ١٩٣- تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ٦٢٣، سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ٢٧٧.
- ١٩٤- تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ٧٩٦.
- ١٩٥- سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ٣٣٧. راجع تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ٨٩٦.
- ١٩٦- تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٩٥.
- ١٩٧- تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ١٣٣.
- ١٩٨- تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٢٦٧.
- ١٩٩- تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٣٩٥، سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٢٢١.
- ٢٠٠- تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٧٤١.
- ٢٠١- تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٧٢٣.
- ٢٠٢- معرفة القراء، ج ٢، ص ١٤١٧-١٤١٨.
- ٢٠٣- سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٩٦.
- ٢٠٤- سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٩٧.
- ٢٠٥- ذيل تاريخ الإسلام، ص ٣٧.
- ٢٠٦- ذيل تاريخ الإسلام، ص ٨١.
- ٢٠٧- سير أعلام النبلاء، ج ١٤ (المفقود)، ص ٣٢٣-٣٢٤.
- ٢٠٨- تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ٦١٦.
- ٢٠٩- معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤٢٨.
- ٢١٠- معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤٢٩.
- ٢١١- ذيل تاريخ الإسلام، ص ١٨١.
- ٢١٢- ذيل تاريخ الإسلام، ص ٢٨١. والبليشي: نسبة إلى بلدة بلش وتقع قرب مالقة إلى الشرق منها (ابن الخطيب. الإحاطة، ج ١، ص ١١٢ حاشية ٢).
- ٢١٣- معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤٩٠.
- ٢١٤- معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤٩٠.
- ٢١٥- معرفة القراء، ج ٣، ص ١٢٢٩.
- ٢١٦- تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ٩٢٩، ج ١٥، ص ٨٢.
- ٢١٧- تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٣٨٤.
- ٢١٨- معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤١٢.
- ٢١٩- معرفة القراء، ج ٣، ص ١٤٢٧.
- ٢٢٠- كان فيما كتبه أبو حيان للذهبي عن أحد القراء، واسمه أبو القاسم عيسى بن أبي محمد عبد العزيز بن عيسى اللخمي الشريشي الإسكندراني، وقد نقل الذهبي إفادة أبي حيان بقوله «وقد سألت عنه العلامة أبا حيان الأندلسي - أبقاه الله - فكتب إلي فيما كتب» (تاريخ الإسلام للذهبي، ج ١٣، ص ٩٠١) ثم ساق شيئاً من أخباره نقلاً عن أبي حيان، كما نقل تضعيفه له (المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٩٠١-٩٠٣. معرفة القراء، ج ٣، ص ١٢٠٩-١٢١٢) ويلاحظ أنه يعود في أصله إلى الأندلس ومع ذلك لم ندرجه في قائمة علماء الأندلس الذين ترجم لهم الذهبي مستفيداً من الرواة الأندلسيين، والسبب في ذلك أنه ولد في الإسكندرية (الثغر)، وعاش فيها، ولم تطلأ قدمه الأندلس، وقد كان والده وجيه الدين استقر في مصر، وعرف بقاريء الحافظ السلفي (الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٣٩، ج ٢٢، ص ٣١٥).
- ٢٢١- وهو الكتاب الذي سبق أن نشره الباحث الإسباني لويس مولينا بعنوان: «ذكر بلاد الأندلس».

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر:

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م).
التكملة لكتاب الصلة؛ وتحقيق عبد السلام الهراس - دار
البيضاء: دار المعرفة.
- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م).
النفحة النسرينية واللمحة المرينية؛ تحقيق عدنان آل طعمة -
دمشق: دار سعد الدين.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت حوالي ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - ط ١ - بيروت: عالم الكتب،
١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ابن تَفَرِّي بَرْدِي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ /
١٤٦٩م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة؛ تحقيق
فهم محمد شلوت - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر.
- التنبكي، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد (ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م).
نيل الابتهاج بتطريز الديباج؛ نشر عبد الحميد الهرامة -
ط ١ - طرابلس؛ ليبيا: كلية الدعوة الإسلامية، ١٩٨٩م.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت
٨٣٣هـ / ١٤٣٠م). غاية النهاية في طبقات القراء؛ تحقيق ج .
براجستراسر - ط ٢ - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ /
١٩٨٢م.
- ابن جَزَي الكلب، أبو محمد عبد الله بن محمد (من أهل القرن
الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي). كتاب الخيل، مطلع
اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال؛ تحقيق محمد العربي
الخطابي - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ابن الحاج، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النميري (ت بعد
٧٧٤هـ / ١٣٧٢م). فيض العُباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة
السعيدة إلى قسنطينة والزاب؛ تحقيق محمد ابن شقرون -
ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت

- ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة؛ ضبط
وتصحيح عبد الوارث محمد علي - ط ١ - بيروت: دار الكتب
العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- الحسيني، محمد بن علي (ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٤م). ذيل العبر في
خبر من خبر، طبعه أبو المهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول
ضمن الجزء الرابع من العبر - بيروت: دار الكتب العلمية،
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت حوالي ٧٢٧هـ /
١٣٢٦م). صفة جزيرة الأندلس (منتخب من كتاب الروض
المعطار في خبر الأقطار) - ل. ليفي بروفنسال. ط. د. م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ /
١٣٧٤م). الإحاطة في أخبار غرناطة، م ١ - ط ٢ - القاهرة: مكتبة
الخانجي، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م، م ٢: ط. الأولى، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، م ٣:
ط. الأولى، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، م ٤: ط. الأولى، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م.
أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام .
ق ٢ تاريخ إسبانيا الإسلامية، نشر ل. ليفي بروفنسال - ط ٢ -
بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦م. شرح رقم الحلل في نظم الدول؛
تحقيق عدنان درويش - دمشق: وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٠م .
الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة؛
تحقيق إحسان عباس - بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣م . اللمحة
البدرية في الدولة النصرية - ط ٢ - بيروت: دار الآفاق الجديدة،
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).
العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والمعم والبربر ومن
عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر؛ نشر خليل شحادة - بيروت:
دار الفكر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ /
١٣٤٨م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ تحقيق
بشار عواد معروف - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي،
١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. تذكرة الحفاظ - بيروت: دار الكتب العلمية،

- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م). المغرب في حلى المغرب؛ تحقيق شوقي ضيف - ط ٢ - القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط ١ - بيروت: المكتبة العصرية. ذيل تذكرة الحفاظ، طبع في الجزء الخامس من طبعة تذكرة الحفاظ للذهبي - ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية. طبقات الحفاظ - ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م). الوافي بالوفيات - ط ٣ - شتوتغارت: دار فرانز شتاينز، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م). الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر السادس؛ تحقيق إحسان عباس - ط ١ - بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٣م.

- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، «قسم الموحدين»؛ تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي؛ الدار البيضاء: ودار الثقافة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م). الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع؛ تحقيق السيد أحمد صقر - ط ٢ - القاهرة: دار التراث، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- ابن غالب، محمد بن أيوب (من أهل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي). فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، (قطعة من هذا الكتاب)؛ تحقيق لطفي عبد البديع - القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٦م.

- ابن فرحون، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ تحقيق محمد الأحمد أبو النور - القاهرة: دار التراث.

- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م). درة الحجال في أسماء الرجال؛ تحقيق محمد

١٣٧٥هـ/١٩٥٥م. دول الإسلام؛ تحقيق فهد محمد شلتوت

ومحمد مصطفى إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م. ذيل تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري - ط ١ - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م. سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط - ط ٨ - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

سير أعلام النبلاء؛ اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم - ط ١ - القاهرة: مكتبة الصفا، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. العبر في خبر من غير؛ حققه أبو المهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول -

بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. معجم الشيوخ (المعجم الكبير)؛ تحقيق محمد الحبيب الهيلة - ط ١ - الطائف: مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. المعجم المختص (بالمحدثين)؛

تحقيق محمد الحبيب الهيلة - ط ١ - الطائف: مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار؛ تحقيق طيار آلتي قولاج - ط ١ - إستانبول: مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- ابن رافع، أبو المعالي تقي الدين محمد بن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م). الوفيات؛ تحقيق صالح مهدي عباس - ط ١ - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- الزبيدي، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩١م). تاج العروس من جواهر القاموس؛ تحقيق علي شيري - بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م). الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس؛ راجعه عبد الوهاب بن منصور - ط ٢ - بيروت: المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م). الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ؛ تحقيق فرانز روزنثال؛ ترجمة صالح العلي - ط ١ - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م. وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام؛ تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني وأحمد الخطيمي - ط ١ - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- التاريخي، مجلة المؤرخ المصري، جامعة القاهرة، كلية الآداب، العدد ٢١، يناير ١٩٩٩م.
- الشيخ، عبد الستار. الحافظ الذهبي - ط ١ - دمشق: دار القلم، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- الطوخي، أحمد محمد. مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر - الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧م.
- العبادي، أحمد مختار. الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، م ١٥، ١٩٧٠م.
- عنان، محمد عبد الله. عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس - ط ١ - القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤م. نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين - ط ٢ - القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- مصطفى، شاك. التاريخ العربي والمؤرخون - ط ٢ - بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
- معروف، بشار عواد. الذهبي ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- النشار، محمد محمود. علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك - ط ١ - القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧م.

ثالثاً - المراجع الأجنبية:

- Antonio Ubieto: Introduccion a la Historia de Espana .
-, Barcelona
- Emilio Mitre: La Espana medieval , Madrid , 1979 .
- Jose Terrero: Historia de Espana , Barcelona , 1972 .
Joseph McCabe: The Splendour of Moorish Spain .,
- London, 1935

- الأحمدي أبو النور - القاهرة : دار التراث، ١٩٧٠م.
- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤٨١م).
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء؛ تحقيق مجموعة من
المحققين - ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/
١٩٨٧م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/
١٣٧٢م). البداية والنهاية - بيروت: دار المعارف .
- مجهول. تاريخ الأندلس (٢١)؛ تحقيق عبد القادر بوباية - ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م).
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ تحقيق إحسان عباس - بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان موجوداً سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م). نص مهمل عن بني نصر، مأخوذ من كتاب
شرح المقامة النخيلية؛ تحقيق نورة بنت محمد التويجري، نشر
في مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد ١١، السنة السادسة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م (ص ١٠١-١٥٣).
- الوادي آشي، محمد بن جابر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م). برنامج
الوادي آشي؛ تحقيق محمد محفوظ - ط ١ - أثينا: دار الغرب
الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ثانياً - المراجع الحديثة:

- أحمد، علي. الدور الفكري للأندلسيين والمغاربة في المشرق
العربي من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع
الهجري - دمشق: دار شمال، ١٩٩٥م.
- الحجري، عبد الرحمن علي. التاريخ الأندلسي - ط ٢ - دمشق:
دار القلم، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.
- السحيباني، حمد بن صالح. اليسع الفافقي وجهوده في البحث